الإسلام
فى نظر أعلام الغرب

تأليف المرحوم

حسين عبد الله باسلامه

عضو مجلس الشورى بمكة المكرمة سابقا
ومؤلف كتاب حياة سيد العرب ، وتاريخ النهضة الاسلامية ، مع العلم والمدنية

الطبعة الثانية

المطبعة السلفية

الإسلام

في نظر أعلام الغرب

تأليف المرحوم

حسين عبد الله باسلامة

عضو مجلس الشورى بمكة المكرمة سابقا

ومؤلف كتاب «حياة سيد العرب» ، «وتاريخ النهضة الاسلامية» ، «مع العلم والمدنية»

المطبعة السلفية

بسم الله الرحمن الرحيم

و به نستعين

الحمد لله مدبر الكائنات ، والصلاة والسلام على نبي الرحمة ، ورسول الهدى والداعي لدين الحق سيدنا محمد ﷺ الذي جاء بنظام العالم والأمم وبالمدنية الراقية ، والعمران البهج ، الذي مبناه على العدل والحضارة النضرة الرائقة ، والحرية الطاهرة النقية ، والاجتماع الذي لا تشوبه الفوضى ، والسياسة البريئة من كل مكر وخديعة ومواربة ومداهنة وتضليل ، والمنقذ للبشر من الهمجية والتوحش ، والدعارة وفساد الأخلاق . وعلى آله وصحبه الذين سلكوا سبيله ، واستضاءوا بنوره ، وضحوا حياتهم في نصرة الحق وإقامة العدل ، حتى أسسوا دعائم الحضارة النضرة على أنقاض الفوضى البائدة في مشارق الأرض ومغاربها ، وفي كل حدب وصوب ، اين ماحلوا وارتحلوا

مقدمة

اما بعد فبما أنى قد رأيت سيل الالحاد و التشكيك أخذ يتسرب الى أفئدة بعض الناشئة الاسلامية ، وتيار الحيرة والغباوة ابتدأ يجترف عقول البسطاء وقصار المدارك من الناس ، وصار بعض من قلد الملاحدة والمشككين تقليدا أعمى يتفضفض ببعض الكلمات التى تلقاها كتلقى (الببغاء) ، وامتلأ دماغه بها امتلاء الاسطوانة من كتب الملاحدة ، وهو لايدرى ماهى الحقيقة ، ولا يفهم شيئا من قواعد الايمان الصحيح ، ثم أخذ يرفع عقيرته بماتلقاه من غير أن يدرك مقاصدهم ، وإنما أراد أن يثبت للعالم أجمع أنه على جهل عظيم ، وكفر صريح ، وإلحاد ممقوت ، فمن الكلمات التى يتفوهون بها « ماذا عمل محمد من المدنية والعمران ، ولو وجد محمد فى هذا العصر الذى هو عصر الحرية والتنور والمدنية ، ماذا كان يعمل ؟ وهل يستطيع أن يعمل شيئا ؟ وان ماجاء به محمد فى ذلك العصر يتناسب مع عقول أولئك الأعراب الجهلاء ، وانه لايصلح لهذا العصر الذى قد بلغ أهله أرقى مايتصوره العقل من الحضارة والمدنية والعمران » ، وغير ذلك من الكلمات الجوفاء الدالة على تعمق القائلين بها الى أبعد مدى فى الجهل والحيرة والكفر والالحاد . حتى من شدة تعمقهم أصبحوا بعيدين عن تصور ماجاء به سيد البشر ، ومنقذ العالم من الهمجية والفوضى ﷺ ، وماعمله من الخير العميم لكل من

نور الله بصيرته

وحيث أن هؤلاء ومن على شا كلتهم فى نظر كل عاقل بصير أحقر من أن يتصدى للرد عليهم ، أو يلتفت الى ترهاتهم ، ولم آت هنا بما أتيت به ردا عليهم ، وإنما دعانى الى تحرير هذه الوريقات الحرص على بعض الناشئة الاسلامية الذين قد رمتهم الاقدار فى المدارس و الاندية والمجتمعات التى يتولى التدريس والمحاضرة فيها أمثال هؤلاء ومن على شا كلتهم فى البلدان التى قد أعمى أهلها التفرنج ، ولأجل أن يكون النشء على علم تام بأعمال المنقذ العظيم ورسول الرحمة الكبير ﷺ ، فقد ألفت كتاب (حياة سيد العرب ، و تاريخ النهضة الاسلامية مع العلم والمدنية) فى أربعة أجزاء ، وتابعته بتاريخ الخلفاء الراشدين فى أربعة اجزاء ، وكذلك تاريخ خلفاء بنى أمية ومعهم ابن الزبير فى أربعة أجزاء ، ثم بتاريخ خلفاء بنى العباس فى أربعة أجزاء ، وملوك الطوائف فى أربعة أجزاء ولم أضمنها سوى السياسة والاجتماع فقط ، وتركت باقى ماجاء به سيد العرب من التشريع ، والفقه ، والمعجزات ، والتوحيد ، والحكم ، والمواعظ ، والطب ، والفلك ، وما فى معنى ذلك ، حيث قد صدر فيها مما دبجه يراع جهابذة العلماء مئات الآلاف من الأجزاء والمجلدات ، وهى كفيلة بما تضمنته مما يسد حاجة كافة البشر .

وقد صغته مما اصطفيته من أصح المصادر التى دبجها يراع أبطال

الكتاب والمؤلفين والمصنفين الذين هم أعلام الاسلام من مفسرين ومحدثين ، وفقهاء ومؤرخين ، وشراح ومحشين ولغويين ، وفلاسفة ومفكرين ، وسياسيين واداريين واجتماعيين ، وهي تربو على أكثر من مئتي مؤلف . وجعلته سلس العبارة ، سهل القراءة تتسنى دراسته لكل من عرف القراءة من عوام المسلمين ، بغير أن يضطر لفهم العبارة الى الرجوع لكتب اللغة أو الشراح أو المفسرين ، وذلك لأجل أن يقف القارئ بسهولة على حياة منقذ الأمم من عرب وعجم ﷺ من الجهل والضلال والاستعباد والفوضى والاعتساف ، ويعلم كيف كانت طريقته في الاصلاح ، وكيف استطاع أن ينقذ البشر من الهمجية ، وكيف كابد في ذلك ، ويقف على ما ناله من الاذى والبلاء والمحن ، حتى انتشل أمته من هاوية الشقاء ، وعرج بهم الى أوج السعادة والارتقاء ؛ الى أن بلغت الأمة المحمدية أعلى قمم الرقي والعمران ؛ ويعلم أيضا أنه قد تخرج من مدرسته المحمدية ـ ممن تغذى من إرشاداته وتعاليمه من أولئك الاعراب الأميين سكان قلب الجزيرة وأنحائها وفلواتها ـ رجال قادوا الامم في الحروب والسياسة والعلم والمدنية والعمران والحضارة والاجتماع ؛ حتى وصل الاسلام الى انحاء المعمورة ، وبلغ العالم الاسلامي مئات الملايين ؛ ويعلم أيضا أن أساس الرقي الاسلامي كان مبنيا على ربط قلوب المسلمين بعضهم ببعض برابطة الايمان الصحيح ، الذي كان دستوره القرآن المجيد ؛

ويظهر له من دراسة ذلك أن لاحياة للمسلمين إلا إذا سلكوا هذا الطريق المستقيم، وطهروا قلوبهم من الخرافات والبدع والضلال والزيغ والالحاد والتشكيك . ويعلمون أن ذلك لايأتى عفوا بغير اجهاد أنفسهم على التعلم والتعليم وتتبع سيرة ومنهج سيد المرسلين وإمام المتقين سيدنا محمد ﷺ، والتمشى على مبادئه بقدم ثابتة وقلب مطمئن بالايمان الصحيح؛ وفكر ثاقب مستضىء بنور الهداية ؛ وعقل نقى من الغباوة والجمود والجهل المركب . فمتى عمل المسلمون بذلك وسلكوا هذا الطريق المستقيم فلا شك أنهم ينهضون من كبوتهم ، ويفيقون من غفلتهم ، وينتشلون من عثرتهم ، ويتخلصون من نكبتهم ، ويصبحون سادة بعد أن صاروا مستعبدين ، وأمراء بعد أن كانوا مأمورين ، وقوادا بعد ما صاروا مقادين ، وعلماء بعصرهم بعد أن أصبحوا جاهلين ، ومعلمين بعد أن كانوا تلاميذ ، وأئمة متبعين فى كل علم وفن بعد أن صاروا مقلدين فى كل شىء تقليدا أعمى بغير أن يعقلوا الشىء الذى قلدوا فيه هل هو مضر أم مفيد .

وربما يتبادر للقارىء أن الأمر قد فات ، أو كما يقوله بعض المتقاعدين عن النهوض إن هذا آخر الزمان ولا يمكن إدراك مافات ، فالأمر سهل لأن باب الهداية مفتوح على مصراعيه ، وسبيل الوصول الى الرشاد سهل السلوك ، وما على رائد الخير والفلاح والنجاح إلا متابعة ماجاء به نبى الرحمة ، ورسول السعادة ﷺ ، وهو فائض وكثير ومتيسر فى كل

وقت وحين ، وهو موجود فى كل عصر ومصر

وأما اذا تمادى المسلمون فى غفلاتهم ، وتعمقوا فى غرورهم ، وسبحوا فى بحار جهالاتهم ، وتقاعدوا عن سلوك سبيل الهدى والرشاد ، واتبعوا أقوال الملاحدة والمشككين ومن على شاكلتهم ، أولئك الذين هم العقبة الكؤد فى سبيل إصلاح الناشئة الاسلامية ، والذين يصرفون وجوههم عن طريق السعادة ويسمونها لهم بأسماء منفرة : كالرجعية والتأخر الى الوراء والهمجية وغير ذلك ، مع انهم بذلك أجدر ، فلا شك أنهم من الهالكين حيث لانجاح للمسلم ولاسبيل الى السعادة إلا بتتبع ما كان عليه النبى ﷺ وأصحابه من بعده ومن حذا حذوهم من أعلام المسلمين

ولا يغرنك أيها المسلم الغيور على دينك ونبيك وكتابك (القرآن المجيد) وجامعتك الاسلامية مايقوله حشرات الالحاد أولئك الذين نشؤا فى مستنقع السفالة والغواية والجهالة والبذاءة والغباوة والسفسطة والغرور والحيرة والتشكيك والوقاحة والخسة والحطة والدناءة من أن سيد البشر محمداً ﷺ إنما جاء فى عصر الهمجية ، ولو أنه جاء فى هذا العصر الذى هو عصر المدنية لما أمكنه أن يعمل شيئاً ، فهؤلاء وأمثالهم لايعلمون ماعمله النبى ﷺ ، ولايمكنهم أن يعلموه ، لأنهم غارقون فى بحار العماوة ومستنقعات الفساد ، فكيف وحالتهم هذه يمكنهم أن يعلموا أو يفهموا أو يشعروا بما عمله سيد الكائنات ﷺ من الخير العميم لسكان المعمورة ، وما

سيعمله لو وجد الآن ، فينبغى لكل مسلم أن ينبذ هؤلاء من البشرية وأن يطمس وجوههم بالقار ، لأنهم من الحشرات التى نبتت من القذارات ، وليس لها مصلحة غير الفتك فى أعصاب البسطاء والجهلاء والاغبياء ومن على شاكلتهم ؛ والدليل على ذلك أنك تراهم ساخطين على آبائهم لكونهم كانوا من المسلمين وسموهم بأسماء المسلمين ؛ ولم يفهموا بأنهم لم يكونوا مسلمين ولو أن آباءهم كانوا مسلمين وسموهم بأسماء بعض المسلمين ، لأن الاسلام له شروط وله عقائد وله تشريع خاص ؛ فلا يكون الشخص مسلماً إلا إذا كان فيه شيء من صفات الاسلام . فليت آباءهم حين سموهم بأسماء المسلمين سموهم بسم قاطع وأراحوا البشرية من نتانة أفواههم ؛ وطهروا الارض من قذاراتهم .

أمّا الجواب على قولهم : لو وجد محمد مادا كان يعمل . فأقول : قد سبق فى الأجزاء الأربعة من كتاب (حياة سيد العرب) أن نبينا محمداً ﷺ كان قد بعث فى وسط الأمة العربية منفرداً . ولما بث دعوته بين قريش ومن خالطهم من العرب والموالى فكان أول من خالفه وصادمه ورد عليه دعوته وكذبه أهل بيته وعشيرته ؛ ثم عموم قبائل قريش ثم كافة العرب ؛ وتصلبوا ضدّ دعوته ، ورفضوا التفاهم معه ؛ وآذوه وقاطعوه ؛ وعذبوا أصحابه عذابا شديداً لأنهم كانوا فى جانب القلة المتناهية ، فلم يوهن ذلك من عزمه ولم يضعف إرادته ولم يصد إقدامه ،

بل إنه ثابر على دعوته ، وتقدم فى عمله الذى بعث من أجله بقدم ثابتة وقلب صلد ، وأخذ يعمل فى السر و العلانية ثلاث عشرة سنة يدعو الى سبيل ربه بالحكمة و الموعظة الحسنة و يجادلهم بالتى هى أحسن ويستجلب قلوبهم ؛ ثم بعد صرف جهود عظيمة وصراع عنيف طيلة تلك المدة ، استطاع أن يشكل كتلة من نحو مائة رجل من العرب فيهم السيد و الشريف والضعيف والمولى ، ثم هاجر معهم الى المدينة حينما تآمرت قريش على قتله . ثم بعد الهجرة اتسعت حلقة تلك الكتلة ، و تفرع منها حسب تعاليمه وإرشاداته ﷺ رجال قادوا الأمة بمهارة فاقت على عموم قواد العالم فى ذلك العصر ، واكتسحت مملكتى فارس و الروم من الشرق ، ثم افتتحوا الدنيا فى نصف قرن ، كما اعترف بذلك الامبراطور (نابليون بنابرت) ملك فرانسا

فاذا كان الامر كذلك ، وفرضنا المحال ، ووجد هذا الحكيم الكبير والنبي العظيم والرسول الكريم محمد ﷺ فى هذا العصر الذى هو على قولهم عصر العلم والتنور ، فيكون الأمر أسهل مما كان فى ذلك العصر الهمجى ، لأن التفاهم مع العالم المتنور أسهل وأقرب من التفاهم مع الاعراب الجفاة ؛ فهو لا شك أنه بعد التفاهم معهم يستلم قيادتهم ويحلل كل ما هو متعسر تحليله من المشكلات التى استعصت على أقطابهم فى هذا العصر الحاضر ، وهذا بديهى لا يحتاج الى إقامة الأدلة على ثبوته ؛ لأن

من كان فى استطاعته إصلاح الهمج والمتوحشين وأرباب الجفاء ؛ لايعسر عليه قيادة المتنور والمتمدن والمتعلم

هذا إذا فرض وجود المصلح الكبير محمد ﷺ فى العصر الحاضر و لم يكن على وجه الأرض مسلم ، وأما لو وجد ﷺ فى هذا العصر الحاضر ووجد معه أربعمائة مليون مسلم كلهم يشهد أن لا إله الا الله وأن محمداً رسول الله ، فيهم المتعلم والمتنور والمتمدن والقوى وذو النجدة ، فلا يحتاجون إلا لمن يجمع كلمتهم ، ويربطهم برباط الإخاء الصحيح الذى قد أرشدنا اليه بقوله ﷺ « المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضا » وكما آخى بين المهاجرين والانصار على اختلاف طبقاتهم من سيد ومسود وجعلهم كتلة واحدة وجسما واحداً ، فلاشك أنه يوقظهم فى أقرب وقت من سباتهم العميق ، وينتشلهم من كبوتهم ، ويقودهم بحكمته الباهرة ويرقى بهم الى أعلى قبة فى مستوى العالم من قبب المجد والسؤدد والفخار ، ويعرج بهم الى أسمى درجات المدنية والحضارة والعمران ، ولا يمضى على المسلمين برهة من الزمن الا وقد اصبحت مقدرات العالم المتمدن بأيديهم كما وقع لسلفهم فى عصر الخلفاء

ولايحتاج الامر الى دليل حيث ان مانراه فى العصر الحاضر من أن مقدرات كثير من الامم المتمدنة القوية العظيمة الشأن أصبحت فى أيدى

أفراد مثل المانيا صارت مقدراتها فى يد هتلر . وايطاليا مقدرتها فى يد موسوليني ؛ وتركيا فى يد مصطفى كمال وهم من أفراد تلك الامم . وليسوا بأنبياء ولا رسل ؛ ولم ينزل عليهم الوحى من السماء ؛ ولم تكن نظمهم الهية لا يأتيها الباطل من بين يديها و لا من خلفها ، بل إن نظمهم وضعية قابلة للتعديل فى كل آن وحين

فاذا كان الأمر كما وصفنا ، أفلا يكون لو فرض المحال ووجد سيدنا محمد ﷺ فى العصر الحاضر وقبض بيده الطاهرة على مقدرات العالم الاسلامى وقادهم كما قادهم سابقا بنظام رب العزة ومنظم الكائنات جل وعلا ، ذلك النظام الذى قد ظهرت فائدته حتى عند أعلام الغرب ، أفلا يكون مصيرهم أعظم وأرقى من سائر الامم المعاصرة ؟ لاريب فى ذلك

وأما اذ كان مقصد هؤلاء الأغبياء من قولهم لو وجد محمد ﷺ فى العصر الحاضر ماذا كان يعمل أمام المخترعات الحديثة من الدبابات ، والطيارات ، والمدرعات ، و الآلات الجهنمية ، والغازات الخانقة . فذلك مما يدل على شدة حماقتهم وغباوتهم وجهلهم المتناهى ؛ فلو أنهم درسوا التاريخ الاسلامى وفحصوه فحص المستشرقين على الأقل لعلموا كل شىء عمله سيدنا محمد ﷺ وعمله أصحابه رضى الله عنهم من بعده وتابعهم على ذلك العمل من أتى بعدهم من خيار السلف الصالح ، بل ولعلموا أيضا ماعملته العرب البائدة فى عصورها الغابرة ، فقد ذكرت فى الجزء الاول من (حياة سيد

العرب) أن العرب هم أول من صنع السفن فى غابر أجيالهم فى الخليج العربى المسمى الآن بالخليج الفارسى قبل أن يصنع الفنيقيون ملاحتهم فى البحر الأبيض المتوسط . ولما جاء الاسلام بنوره و ابتدأ الفتح الاسلامى كان سلاح المسلمين السيف والرمح والقوس ؛ فلما وجد المسلمون أن أعداءهم يستعملون أسلحة أخرى ، مثل المنجنيق والدبابات والضبور وما فى معناها ، قاموا على الفور بصنع ما هو أقوى مما بأيدى الأعداء . ولما غزا معاوية رضى الله عنه جزيرة قبرص فى خلافة الخليفة الثالث عثمان ابن عفان رضى الله عنه غزاها بأسطول عظيم من صنع المسلمين ، وتفوق به على أسطول أعدائه ، و كان النصر فى جانبه ، وغير ذلك من المهمات الحربية التى قد قام بصنعها المسلمون وفاقوا بها على خصومهم فى كل موطن من مواطن البأس . مع أن مخترعات المسلمين فى عموم أدوارها الى زمن غير بعيد كانت أبهى وأعظم من مخترعات أهل الغرب ، بل كانت هى المخترعات الوحيدة فى العالم ، حينما كان الغرب يتخبط فى ظلمات الجهل ، وذلك بشهادة الاستاذ (درابر) الأمريكى ، والاستاذ (سنكس) والأستاذ (دروى) أحد وزراء فرنسا السابقين وغيرهم ، كما سيأتى تفصيل ذلك عنهم . غير أن ذلك كان حينما كان المسلمون متيقظين ، فلو فرض المحال ووجد نبينا محمد ﷺ فى العصر الحاضر لأيقظ المسلمين من سباتهم العميق ، ونهض بهم نهضته المعروفة حتى

عند علماء الغرب ، ولأرشدهم الى عمل ما هو أفوق من عمل أعدائهم فى عموم المخترعات اتقانا وجودة وتأثيراً ، حيث أن لكل عصر من العصور سلاحا خاصا . وقد أرشدنا القرآن الى مقابلة الاعداء بالمثل أو بما يفوق عليهم بقوله تعالى ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ﴾ فلما كانت القوة بالسلاح الأبيض والخيل المسومة ، فقد استعد المسلمون بذلك . ولما صارت الآن القوة بالطيارات ، والمدرعات ، والدبابات ، والآلات الجهنمية ، والغازات الخانقة ، فطبعا من الواجب أن يكون الاستعداد بمثل تلك القوة أو بما يفوق عليها . وربما ستكون هذه الآلات الحربية التى هى محل إعجاب أهل العصر الحاضر لا تعد شيئا فى العصور المقبلة أمام ما سيحدث من المخترعات فى تلك العصور ، وتصبح هذه المخترعات أمام تلك بمثابة السلاح الأبيض أمام مخترعات العصر الحاضر ، فان ظن هؤلاء الأغبياء أنه لو وجد النبى ﷺ فى العصر الحاضر لجعل سلاح المسلمين السيف والرمح والقوس فقط ، ولا يأمرهم أن يستعدوا بمثل السلاح العصرى أو بما يفوق عليه ، فهذا مما يضحك الثكلى ، مع أن المخترعات الحديثة العصرية لم تنزل على أهل الغرب من السماء ، أو أنه جاء بها نبى مرسل من الله تعالى لاهل الغرب خاصة ، وإنما هى جاءت عن طريق التفكير والبحث ومن نتائج

التجارب ، كما أن ذلك ليس هو بالأمر الصعب على كل من له مسكة من العقل وسلك له طريقه . فلو أن المسلمين باروا أهل الغرب فى مخترعاتهم ، وجدّوا فى عمل تلك المصنوعات ، لكانوا على الاقل مثلهم فى كل شئ ، إذا لم نقل إنهم يفوقون عليهم كما فاق سلفهم المتيقظ السعيد فى عموم أعماله على معاصريه . فاذا علمت ذلك ظهر لك أن الذنب لم يكن ذنب الدين الاسلامى ، وانما الذنب ذنب المسلمين الذين تقاعدوا عن واجبهم الدينى و الدنيوى حتى صاروا أذلاء فى عقر دارهم ، و استوجبوا هذا التأخر أمام للغرب ، وهذا الاستعباد

هذا ما كان يصنع أو يعمل به (كما يظهر ويتبادر الى الذهن) سيدنا محمد ﷺ قياسا على ما عمله فى عصره لو فرض وجوده فى العصر الحاضر من ايقاظ المسلمين من غفلتهم ، وانهاضهم الى ما فيه تفوقهم على عموم معاصريهم ، وجعلهم فوق مستوى العالم أجمع . وأما ما كان يعمله فى أذناب الالحاد أولئك المرجفون الذين لا خلاق لهم ، فان أول شيء كان يعمله فيهم هو طم تلك المستنقعات التى نبتوا منها ، وردم بؤر القذارة التى نشؤا فيها ، وهدم دور الإلحاد والبذاءة والتشكيك التى استخرجوا منها ، واحراق كتب التبشير التى قد حشيت بالأكاذيب والترهات والتشويه والمفتريات على الدين الاسلامى والتى هى سلاح الملاحدة الذين قد ارتشوا على إذاعتها بين البسطاء من المسلمين باسم

التجدد ، وإشعال النار فى الحانات التى جعلوها أندية لهم ، وإصلاء أبدانهم بلظاها . وذلك ليطهر الإنسانية التى لوثوها ببذاءتهم وقحتهم ، ويريح البشرية من وقاحتهم وسفسطتهم ، ويخلص بعض الناشئة الاسلامية التى رمتها الأقدار فى أيديهم من رجسهم . ويشفى صدور قوم مؤمنين بإبادتهم من وجه الأرض

هكذا كان يصنع فيهم رسول الله ﷺ لو فرض وجوده فى هذا العصر قياسا على ماصنعه فيمن كان مثلهم فى عصره من مشركى قريش ، ويهود بنى قريظة بما فيهم حيي بن أخطب ، وبعض المنافقين . أولئك الذين قد بذل قصارى جهده فى إصلاحهم فلم يفد فيهم غير الارهاق والتنكيل

مع أن الأمر لايحتاج الى وجود النبى محمد ﷺ فى العصر الحاضر ، بل ولا الى وجود أحد من الخلفاء الراشدين مثل أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، أو عمر الفاروق رضى الله عنه ، أو الى أحد القواد المهرة مثل خالد بن الوليد رضى الله عنه ، أو سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه ، بل ولا يحتاج الأمر الى من هو أقل بدرجات من أصحاب رسول الله ﷺ مثل ابن هبيرة ، أو ابن أبى ليلى ، أو موسى بن نصير . أو طارق بن زياد ذلك الذى افتتح أوروبا بعشرة آلاف مسلم ، أو يوسف صلاح الدين الايوبى ذلك الذى دحر دول أوروبا من فلسطين وأجلاهم

عن بلاد الاسلام بجنوده العرب الذين هم من مصر وسوريا فقط ،
وليس الامر أيضاً يحتاج الى غير هؤلاء القواد فى العصر الحاضر .
وذلك لأن الكتاب الذى أنزل على نبينا محمد ﷺ من عند الله تبارك
وتعالى هو بين أيدينا بسوره وآياته وحروفه ، لم ينقص منه حرف
واحد ، ولم تتغير فيه كلمة واحدة . كما أن تعاليم النبى ﷺ التى أرشد
بها أصحابه مدونة ومعلومة عندنا ، وكل هذا كاف وكافل لهداية البشر
فى هذا العصر ، وفى عموم العصور الآتية ، وصالح لكل زمان ومكان
الى يوم البعث والنشور . وموعظة للمسلمين لايقظهم من سباتهم
العميق

وانما الذى نحتاجه فى العصر الحاضر هو إيجاد رجال مصلحين
يقومون باصلاح المسلمين وربط أواصرهم وجمع كلمتهم على المبادىء التى
سار عليها الخلفاء الراشدون ومن حذا حذوهم من خلفاء بنى أمية وبنى
العباس . وليس ذلك بالأمر الصعب الذى لا يمكن الوصول اليه ، بل
أرى ذلك من أسهل الأمور . وانما يجب علينا قبل كل شىء أن نعمله
بعد أن وصلنا الى ماوصلنا اليه من التفكك الشنيع والتخاذل المريع ،
والتقاعد المميت ، تحطيم هذه القيود التى قد قيدنا بها أنفسنا أو قيدنا
بها أعداؤنا ، ونبذ ما اعترانا من البدع التى دخلت علينا فى ديننا
وصرفت وجوهنا عن مبادىء الدين القويم الذى سار عليه السلف

الصالح ، ونهدم دور الالحاد والتشكيك على رءوس أهلها أذناب الاستعمار والتبشير ، التى هى السبب الوحيد فى تأخر كثير من الناشئة الاسلامية التى عليها المعول فى الحال والاستقبال ، وصرفت وجوههم عن الواجب الدينى الذى هو الاساس الوحيد لنهضة الاسلام ، والذى هو الدافع لمعتنقيه إلى الرقى والتقدم فى عموم ما يحتاجه الانسان لصالح دينه ودنياه وآخرته

فاذا علمنا ذلك وتخلصنا من البدع والخرافات والالحاد والتشكيك وشفانا الله من ذلك الداء العضال الذى هو التقليد الأعمى لكل ناهق وناعق ، ولكل دجال وشيطان ، ولكل ضال مداهن ، وجب علينا الرجوع الى الوراء ألفا وثلاثمائة وخمسين سنة ، وذلك لأجل أن ندرس بدقة تعاليم المؤسس الأعظم لهذه الجامعة الاسلامية ، ذلك المؤسس سيدنا محمد ﷺ . ثم نتبصر فى أعمال الخليفتين أبى بكر الصديق وعمر الفاروق رضى الله عنهما وما قاما به من النهوض بالأمة الاسلامية نحو الرقى والاجتماع والتقدم فى عصريهما السعيدين ، ثم نتتبع سير قواد الاسلام العظام ، أولئك الذين قد فتح الله تعالى على أيديهم الاقاليم والممالك فى عموم أنحاء الأرض ؛ واستقبلتهم تلك الامم بصدر منشرح لكونهم أطعموهم حلاوة العدل والحرية والانصاف . ومتى نجحنا فى دراسة كل ذلك ووقفنا وقوفا تاما على تلك النظم الشرعية والاجتماعية

والسياسية والادارية والعمرانية ، وجب علينا أن نسير على موجبها سيرا حسنا منظما . ومتى قمنا بهذا الواجب تسنى لنا بعد ذلك أن نربط أواصر العالم الاسلامى الذى يربو على أربعمائة مليون من النفوس برابطة الإيمان الصحيح الذى لا يشوبه تفكك ولا تخاذل ، ولا يتخلله الحاد ولا تشكيك ولا بدع ولا خرافات . نربط ذلك العالم الاسلامى المتبعثر والمتفكك والمتخاذل فى عموم أرجاء الأرض ، ذلك الذى يقطن من رأس الرجاء الصالح باقصى افريقية جنوبا الى اقصاها شمالا ومن المحيط الاتلانتيكى غربا الى اقصى الصين شرقا . ومن جزر الاقيانوس جنوبا بما فيها جزر جاوا ثم اقاليم الهند وايران والافغان وتركستان وبخارى والقفقاس الى تخوم روسيا شمالا وما تخلل تلك الحدود بأواسط آسيا وأطراف أوربا ، وغير ذلك من الاقاليم التى يوجد بها أفراد وجماعات من المسلمين

وهنا نتساءل عن الطرق الموصلة الى ذلك . فالذى يظهر لنا أن هناك طريقين يمكن الوصول بواسطتهما الى ما نتوخاه من الاصلاح :

(أحدهما) أن يختار العالم الاسلامى منه رجالا أشداء مخلصين لدينهم ولأمتهم ولجامعتهم الاسلامية ، غيورين على أبناء جلدتهم من عموم أجناس المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها . ويكون هؤلاء المختارون على قسمين : قسم منهم يتولى التدريس فى عموم المدارس

الاسلامية ، وكل أمة من الأمم الاسلامية تضع فى مدارسها أساتذة متضلعين فى لغة تلك البلاد مع وجوب تعليم اللغة العربية ، حتى يتسنى لعموم الامة الاسلامية أن يتفاهم بعضها مع بعض باللغة العربية التى هى لغة القرآن ، وذلك بعد أن ينبذ وينحى منها أساتذة الإلحاد والتشكيك الذين هم رسل التبشير ودعاة الضلال والداء العضال فى جسم المسلمين ، والذين هم أيضاً أساس الفساد فى تضليل كثير من الناشئة الاسلامية ، فيتولى هؤلاء الأساتذة المختارون التدريس لفلذات أكبادهم ورجال المستقبل على قاعدة الايمان الصحيح ، فيغذون أرواح الناشئة بمبادىء الاجتماع الاسلامى ، والاخاء الانسانى ، ومكارم الاخلاق ، والتكاتف والتعاضد

والقسم الثانى يتولى إلقاء المحاضرات والخطب الاجتماعية فى الأندية والمجتمعات العمومية ، ويسيرون الى الامام بقدم ثابتة وقلب صلد ورباطة جأش وعزم صادق وإقدام مستمر وجرأة فائقة ، لا يهزهم التهديد ، ولا يصدهم الوعد والوعيد ، ويتسلحون بالصبر والثبات ، كما صبر منقذ العالم محمد ﷺ على أنواع البلاء وصنوف الارهاق ، وكما صبر أصحابه رضى الله عنهم على أشد أنواع العذاب ، حتى بلغوا مرادهم من انقاذ البشرية من الفوضى والشرك والاستعباد

فاذا ثابر هؤلاء المصلحون بضع سنين على ذلك فلا شك أنهم

ينجحون فى أعمالهم ، ويتوفقون فى غرس المبادىء الاسلامية فى قلوب عموم المسلمين على اختلاف طبقاتهم ، وبالاخص فى انقاذ الشبيبة من براثن الالحاد والتشكيك والتفرنج ، لأن الأمر موقوف على تأهل الشبيبة وتغذية أرواحها بمبادىء الايمان الصحيح ، لأنهم هم رجال المستقبل ، وعليهم المعول فى الدفاع عن الاسلام من كل تعد مادى أو معنوى ، ولا تمضى على المسلمين برهة من الزمن إلا وقد أطلقوا من عقالهم ، وأصبحوا أقوياء الجانب عظيمى الهيبة مستقلين استقلالا تاما بأوطانهم ، ومصانين فى أهليهم وأولادهم وأموالهم . وهذا هو الطريق السامى الوحيد ، وهو سبيل الهدى والرشاد ، والنجاح والفلاح فى كل شىء

فظهر مما تقدم أن الأمر لايحتاج الى وجود المصلح الأعظم ﷺ ، وإنما الذى نحتاج اليه هو التمشى على طريقته التى كان دستورها القرآن المجيد . فلوأن المسلمين ساروا على ذلك الطريق الأوحد ، وتمسكوا بأعباء الدين الحنيف ، وسلكوا سبيل النبى ﷺ ، واقتدوا بالخلفاء الراشدين المهديين من بعده ، لما وصلوا إلى ما وصلوا اليه من الانحطاط والتفكك والتخاذل ، بل كانوا لا يزالون فى عز مستمر ، وبقوا على ما كانوا عليه فى سالف مجدهم سادة للعالم أجمع ، رغماً عن المدنية العصرية الجوفاء التى مبناها على التهتك والدعارة ونبذ الفضيلة ، ورغما عن أنوف المعجبين

بها أولئك الذين خسروا أنفسهم وأموالهم فيما لم تحمد عقباه من الخبائث ، وتراهم ساخطين على الاسلام لانه حرم على الناس الخبائث وأباح لهم الطيبات ، ولكونهم قد ألفوا الخبائث وانغمسوا فيها ، وأصبحوا لا حياة لهم إلا بها

وربما يتبادر الى بعض الأذهان الجامدة أن الاسلام إنما هو دين عبادة ، وليس هو دين مدنية وحضارة وعمران واجتماع وسياسة ، وأنه يمنع معتنقيه من معرفة الصناعة والزراعة ، ومزاولة الفنون النافعة

فوجب أن أوضح لهؤلاء ما كان عليه الاسلام فى سابق مجده ، فقد حدثنا التاريخ أن الاسلام جاء بنظام العالم والامم ، وبسعادة البشر ، وبالمدنية الطاهرة النقية من كل دعارة وفسق وفجور ، تلك المدنية التى كان مبناها على مكارم الاخلاق ، وبالعمران الذى شيد على العدل ، وبالحرية الفاضلة ، والمساواة بين طبقات البشر فى الحقوق ، وبالحضارة البهجة التى لا تزال محل إعجاب أعلام الغرب وفلاسفته ومفكريه الى اليوم ؛ كل ذلك كان بارشاد الدين القويم ، فقد أحل للأمة الاسلامية الطيبات ، وأمرها باتخاذ الزينة حتى عند كل مسجد ، كما حدثنا التاريخ عما شيده المسلمون من العمران الهائل . فتح عمرو بن العاص رضى الله عنه الخليج وأجرى السفن فيه من القاهرة الى البحر الأحمر ، وعمر أبو جعفر المنصور مدينة بغداد وأنشأ على إيوانه تلك القبة العظيمة . وقد

بلغ ارتفاعها ثمانين ذراعا ، وبنى عبد الرحمن الثالث الأموى بقرطبة فى إسبانيا مدينة الزهراء وهى عبارة عن قصر ، ومسجد ، وحديقة ، وقد صرف عليها مئات الملايين من الدنانير ، وغير ذلك من بدائع العمران وصنوف الفنون الجميلة ، مما أدهش المفكرين والمنصفين من أعلام الغرب ، فكان المسلمون هم أساتذة أوربا فى عموم علومهم ومعارفهم حتى الميكانيك . وقد شهد بذلك كثير من علماء الغرب وفلاسفته ، أولئك الذين نشأوا فى أحضان المدنية الغربية فى العصر الحاضر ، وهم لا يزالون على غير دين الاسلام ، وقد تصدى المنصفون منهم بالرد على مفتريات المبشرين من أبناء جنسهم ومذهبهم ، تلك المفتريات التى قد اختلقوها على نبى الاسلام ، وكتاب الاسلام ، والتشريع الاسلامى ، وعلى الخلفاء الراشدين وأعلام الاسلام وقادة الاسلام وحضاره الاسلام فزيفوا أقوال القسس وكل ما نسبوه الى النبى ﷺ والى الدين الاسلامى كما سيأتى فى هذه الوريقات قريبا ، وكان الدافع لهؤلاء الأعلام الغربيين الى إظهار الحقائق هو محض الانصاف . ولأجل أن يرشدوا أمتهم الى محاسن الاسلام كى يقتبسوا منه ما يوافق مشاربهم ، ويتمشى مع الرقى والعمران حسب رغباتهم ، لكونه هو الدين الصحيح الذى لم يعتره تغيير أو تبديل

هذا ما أردت بيانه عن حقيقة الدين الاسلامى ملخصا ، وقد أتيت

بأوضح مما تقدم فى كتاب (حياة سيد العرب) . وهناك نقف على ما عمله سيدنا محمد ﷺ من السياسة والاجتماع . واليك شيئا وجيزا مما قاله أعلام الغرب الذين هم أهل الحل والعقد فى بلادهم وأمتهم ، وأصحاب الكلمة المسموعة عند أقوامهم ، وأرباب المقامات الرفيعة فى حكوماتها فى الدين الاسلامى ونبى الاسلام وكتاب الاسلام وحضارة الاسلام وعمران الاسلام ومدنية الاسلام ، وماقام به رجال الاسلام من الأعمال العظيمة فى كل شىء ، والاصلاح الكبير ، ونشروا ذلك فى مؤلفاتهم التاريخية والاجتماعية ومجلاتهم وجرائدهم السيارة وما ألقوه فى أنديتهم ومجتمعاتهم من الخطب والمحاضرات فى ذلك ، لكى تقف أيها القارىء على ما قاله أولئك الاعلام الذين هم على غير دين الاسلام ، فى محاسن الاسلام ، وكونه هو الدين الوحيد الذى عليه مدار الاجتماع البشرى ، وفيه صلاح العالم أجمع وهو الذى يصلح لكل زمان ومكان ، ثم تقارن بين أقوالهم وبين ما يقوله حشرات الالحاد والتشكيك ، أولئك المنبوذون من الفضيلة والانسانية ومكارم الاخلاق ، حتى يظهر لك جليا أن هؤلاء الحشرات أجهل من الحيوانات العجم عقلا وفهما وادراكا وتصورا ، وأحط من القردة والخنازير وعبدة الطاغوت فى المجتمع الانسانى قدراً ومقاماً ومنزلة

نظرية الكونت هنرى

قال (الكونت هنرى دى كاسترى) وهو أحد وزراء فرنسا ، وأحد حكام الجزائر السابقين ، فى كتابه (الاسلام) الذى عربه المرحوم فتحى زغلول باشا فى صحيفة (١٥) :

إن أمة العرب قبل النبى كانت وثنية على وجه العموم ، وكان مذهب توحيد الإله يخطر فى الأذهان رويداً رويداً ، وكان المشخصون لهذا الاعتقاد فريقا يقال لهم الحنفاء ، بقوا على مذهب ابراهيم ، واما المسيحيون فكانوا فرقا كثيرة كلها تعتقد بمذهب التكثير (تعدد الآلهة) . وتلقى محمد مذهب أولئك الحنفاء بحالة سطحية ، لكن لما كانت نفس ذلك النبى مفطورة على التشبع بالدين تكيف هذا المذهب فى وجدانه حتى صار اعتقاداً لم تصل اليه نفس قبله إلا قليلا ، وهو ذلك الاعتقاد المتين الذى أحدث انقلابا كليا فى النوع البشرى . ومن الخطأ أن نبحث عن هذا المبدأ العميم فيضه فى غير طريقة الحنفاء ، لان محمداً ما كان يقرأ ولا يكتب ، بل كان كما وصف نفسه مراراً (نبياً أميا) وهو وصف لم يعارضه فيه أحد من معاصريه . ولا شك أنه يستحيل على رجل فى الشرق أن يتلقى العلم بحيث لا يعلمه الناس ، لأن حياة الشرقيين كلها ظاهرة للعيان . على أن القراءة والكتابة كانت معدومة فى ذلك الحين من تلك الاقطار ، فثبت إذن مما تقدم أن محمداً

لم يقرأ كتابا مقدسا ، ولم يسترشد فى دينه بمذهب متقدم عليه ، إذ لو فرض وكان القرآن قد نقل بعضا من الكتب المقدسة الأخرى لبقى الأمر مشكلا كما كان عليه فى معرفة حقيقة ما اختلج بروحه الدينى ، وكيف وجد فيها ذلك الاعتقاد الثابت بوحدانية الله حتى استولى عليه روحا وجسما . لقد نعلم أنه مر بمتاعب كثيرة وقاسى آلاماً نفسية كبرى قبل أن يخبر برسالته ، فقد خلقه الله ذا نفس تمحضت للدين ، ومن أجل ذلك احتاج الى العزلة عن الناس لكى يهرب من عبادة الأوثان ولكى ينفرد بما نزل فيه من الفكر العظيم وهو وحدانية الله تعالى ، اعتكف فى (جبل حراء) وأرخى عنان التفكير يجول فى بحار التأملات عابداً مجتهداً ، ولعمرى فيم كان يفكر ذلك الرجل الذى بلغ الأربعين وهو فى ريعان الذكاء ، ومن أولئك الشرقيين الذين امتازوا فى العقل بحدة التخيل وقوة الادراك ، لا بوضع المقدمات وتعليق النتائج عليها ، ما كان الا أن يقول مراراً ويعيد تكراراً هذه الكلمات (الله أحد ، الله أحد) كلمات رددها المسلمون أجمعون من بعده ، وغاب عنا معشر المسيحيين مغزاها لبعدنا عن فكرة التوحيد ، ولم يزل عقله مشتغلا حتى ظهر هذا الفكر فى كلامه على صور مختلفة جاءت فى القرآن ﴿ لا شريك له ﴾ ، ﴿ لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد ﴾ وكانت مترادفات اللغة العربية تساعده بمعانيها الرقيقة على ترداد ذلك الفكر السامى الذى

دلّ عليه ، ومن تلك الافـكار وتلك العبادة تولدت كلمة الاسلام (لا إله إلا الله) . ذلك هو أصل الاعتقاد بإله فرد ، ورب صمد ، منزه عن النقائص ، يكاد العقل يتصوره ، وهو اعتقاد قوى يؤمن به المسلمون على الدوام ويمتازون به على غيرهم من القبائل والشعوب ، أولئك حقاً هم المؤمنون كما يسمون أنفسهم . فظهور هذا الاعتقاد بواسطته دفعة واحدة هو أعظم مظهر فى حياته ، وهو ذاته أكبر دليل على صدقه فى رسالته وأمانته فى نبوته

ثم تكلم على الوحى ومعجزات القرآن فى بلاغته ومعانيه واعتراف فصحاء العرب بإعجازه ، وذكر منهم عتبة بن ربيعة ، وذكر مسيلمة الـكذاب وأثبت بطلان ادعائه ، وذلك فى صحيفة (١٨) الى (٢١) ثم قال : ولو قال قائل إن القرآن ليس كلام الله ، بل كلام محمد ، فلا بد لنا على الحالين من الاعتراف بأن تلك الآيات البينات لا تصدر عن مبتدع أبدا خلافا لرأى من ذهب الى تكذيب نبوته ، ولعل رأيهم جاء من ضيق اللغة التى تلجئنا الى أن نرمى بالـكذب نبيا هو فى الحقيقة شخص ملىء أمانة وصدقا ـ الى ان قال ـ إذاً ليس محمد من المبتدعين ، ولا من المنتحلين كتابهم ، وليس هو نبى سلاب كما يقول موسيو (سايوس) ولا نسلم بانـكار هذه الحقيقة ، وحينئذ لا عجب اذا تشابهت تلك الـكتب فى بعض المواضيع ، خصوصا إذا لاحظنا أن القرآن جاء

ليتممها ، كما أن النبى ﷺ خاتم الانبياء والمرسلين ـ ثم قال ـ ولكن الأمر الذى تهم معرفته هو أن القرآن آخر كتاب سماوى ينزل للناس وصاحبه خاتم الرسل ، فلا كتاب بعد القرآن ، ولا نبى بعد محمد ﷺ ولن تجد بعده لكلمات الله تبديلا

وقال فى صحيفة (٤٨) بعد أن أطال البحث فى تحليل ما تقدم ورد على المتطرفين من المستشرقين فرياتهم على نبى الاسلام ﷺ : وبالجملة فان الاسلام ما دخل بلدا إلا وصار ذا المقام الأول بين الديانات المسيحية من غير أن يتعرض لمحوها ، وعلى هذا يتحقق أن الدين الاسلامى لم ينتشر بالعنف والقوة ، بل الأقرب للصواب أن يقال إن كثرة مسالمة المسلمين ولين جانبهم كانا سببا فى سقوط المملكة العربية ـ الى أن قال ـ ان ديانة القرآن تمكنت من قلوب جميع الامم اليهودية ، والمسيحية ، والوثنية فى إفريقيا الشمالية ، وفى قسم عظيم من آسيا ، حتى انه وجد فى بلاد الاندلس من المسيحيين المتنورين من تركوا دينهم حباً فى الاسلام ، كل هذا بغير إكراه

ثم بعد أن أطال البحث فى العقائد الاسلامية والتشريع الاسلامى من ناحية الاعتقاد بالقضاء والقدر وتعدد الزوجات والطلاق والرق ، صرح بأن ذلك من حسنات الاسلام على المسلمين ، وأن الرق كان عند الامم المسيحية على أشنع حال ، ورد على المبشرين أكاذيبهم ومفترياتهم

وتشنيعهم على الاسلام ، قال فى صحيفة (٨٦) ، وهنا يجب البحث فيما إذا كان الاسلام دينا عموميا بطبيعته كدين بوذا وكالدين المسيحى ، أو هو دين خاص بأمة من الأمم ، وهو بحث طرق بابه من قبل موسيو (كيمان) والجواب عليه صريح لاشك فيه من الجهة العلمية ، فالاسلام دين عام بغير شبهة ، لاننا نشاهد من المسلمين فى كل أمة على اختلاف الاجناس و البلدان ، فمنهم الشرقى و التترى والغربى و الهندى و الزنجى ، بقى علينا أن نعرف مع موسيو (كيمان) إن كانت هذه الحالة العمومية ناشئة من طبيعة الدين ، أو متولدة من أسباب أخرى ؟ وهو يرى أن الأمة العربية ليست مهده الطبيعى ، وإنما هو ينتمى اليها ، وليس فى طبيعة هذا الدين أنه دين عمومى ، وهو قيد ناشىء عن نظر فى الموضوع من إحدى جهاته فقط ، لأن الدين الاسلامى الذى منشؤه القرآن والسنة هو الذى تولد عنه ذلك الاسلام الذى يعترف المؤلف المشار اليه بأنه دين عام لامحالة ، و انتقاله من حالته الأولى الى الثانية حصل تدريجا بطريقة يتعذر ضبطها ، وذلك بتأثير الزمان والامم المختلفة التى اعتنقته بحيث يتعسر التفريق بين تقدير تأثيره من حيث هو فى أصله وتأثيره بعد أن صار كما نراه فى هذه الايام ، فلا يغضبن موسيو (كيمان) إذا حذفت تقسيمه الاسلام الى أول ولاحق ، وقلت فيه كلمة كما قال فى كتابه إنه دين عمومى . ثم قال : ومن مزايا الاسلام أنه دين رحيم ، فهو يعد

الجنة والنعيم لكل مؤمن من دون تمييز على التقريب ، فالمحارب يموت شهيداً والعالم يكتفى بتلاوة القرآن ، والاثنان مقبولان عند الله ، وللفقير مكان عال وللغنى درجة رفيعة الخ

هذه نبذة وجيزة نقلتها من نظرية الكونت هنرى دى كسترى الوزير الفرنسى من كتابه (الاسلام) ، وهذا الكتاب يحتوى على مواضع شتى أدحض بها مفتريات القسس والمبشرين ، وبعض المستشرقين المتطرفين الذين لا يقيمون للانصاف وزنا ، وكل ما اذاعوه من التشنيع على الاسلام وكتابه ونبيه ، مع انه قد صرح أنه مسيحى المذهب ، ولكن الذى دفعه الى ذلك هو أولا حرية الرأى والانصاف فى القول الحق وان كان ذلك ضد مذهبه . ثانيا أراد أن يطلع الامة الفرنسية على حقيقة الدين الاسلامى لتكون على بصيرة من أمرها ولا تغتر بفريات المبشرين الذين يستنزفون أموال أمتهم باسم التبشير لدينهم بدون جدوى ولا طائل تحته غير تضحية الأموال الضخمة فى سبيل شهوات القسس وغطرستهم التى لاحد لها

نظرية الأستاذ سيديو

وقال الاستاذ الكبير الموسيو (سيديو) الفرنسى أحد أعلام الافرنج وأحد وزراء فرانسا السابقين فى كتابه (خلاصة تاريخ العرب)

تعريب (على باشا مبارك) بصحيفة (٧) فى المقدمة بعد ذكره لفضل الامة العربية قوله :

ثم أتى النبى ﷺ فربط علائق المودة بين قبائل جزيرة العرب ، ووجه أفكارها الى مقصد واحد فعلا شانها حتى امتدت سلطتها من نهر التاج ــ المار باسبانيا ، وبرتغال ــ الى نهر الكنج وهو اعظم انهار الهند ، وانتشر نور العلوم والتمدن بالشرق والغرب ، وأهل أوربا اذ ذاك فى ظلمة جهل القرون المتوسطة ، وكأنهم نسوا نسيانا كليا ماوصل اليهم من أحاديث اليونان والرومان ، واجتهد العباسيون ببغداد والامويون بقرطبة والفاطميون بالقاهرة فى تقدم الفنون ، ثم تمزقت ممالكهم وفقدوا شوكتهم السياسية فاقتصروا على السلطة الدينية التى استمرت لهم فى سائر أرجاء ممالكهم ، وكان لديهم من المعلومات والصنائع والاستكشافات ما استفاده منهم نصارى اسبانيا حين طردهم منها ، كما أن الاتراك والمغول بعد تغلبهم على ممالك آسيا استفادوا معارف من تغلبوا عليهم

ثم قال فى صحيفة (٩) فى وصف التمدن العربى الذى تمكنت أصوله فى آفاق الدنيا القديمة أقوى تمكن : ولا نزال الى الآن نرى آثاره حين نبحث عن مبادئ ما نحن عليه من المعلومات الاوروباوية ؛ فان العرب فى غاية القرن الثامن بعد الميلاد فقدوا الحمية الحربية وشغفوا

بحوز المعارف حتى أخذت عما قليل مدائن قرطبة وطليطلة والقاهرة وفاس ومراكش والرقة واصفهان وسمرقند تفاخر بغداد فى حيازة العلوم والمعارف . وقرئ ما ترجم الى العربية من كتب اليونان فى المدارس الاسلامية ، وبذل العرب همتهم فى الاشتغال بجميع ما ابتكرته الأفهام البشرية من العلوم والفنون ، وشهروا فى غالب البلاد خصوصاً البلاد النصرانية من أوربا بابتكارات تدل على أنهم أئمتنا فى المعارف ، ولنا شاهد صدق على علو شأنهم الذى تجهله الفرنج من أزمان مديدة : الأول ما أثر عنهم من تواريخ القرون المتوسطة وأخبار الرحل والاسفار وقواميس ما اشتهر من الامكنة والرجال والمجاميع الشاملة لكثير من الفنون الفاخرة . والثانى ما كان لديهم من الصناعات الفائقة والمبانى الفاخرة والاستكشافات المهمة فى الفنون ، وما وسعوا دائرته من علوم الطب والتاريخ الطبيعى والكيمياء الصحيحة والفلاحة والعلوم الصحيحة التى مارسوها بغاية النشاط

وقد أتى الموسيو سيديو فى كتابه هذا على بعض السيرة النبوية والتاريخ الاسلامى ، وتوسط فى بحثه ولم يكن مجحفا أو جافيا ، ونقل عنه الاستاذ فريد وجدى فى كتابه (الاسلام دين عام خالد) فى الجزء الاول منه بصحيفة (٤٢) أنه قال : لقد كان المسلمون متفردين بالعلم فى تلك القرون المظلمة ، فنشروه حيث وطئت أقدامهم ، وكانوا هم السبب

فى خروج أوروبا من الظلمات الى النور . انتهى

فهذا يدلنا دلالة صريحة على أن المسلمين هم الذين جنوا على أنفسهم جناية لا تغتفر لكونهم تقاعدوا عن العمل ، وتكاسلوا فى درس العلوم والفنون التى خلفها لهم أسلافهم ، وأهملوا مزاولة الصناعة فى العصور الحاضرة ، حتى صاروا عالة على الغرب فى كل شيء حتى فى سم الخياط . ولم يكن الدين الاسلامى هو الذى أمرهم بالتقاعد عن واجباتهم الدينية والدنيوية ، فالذنب ذنبهم لأنهم أضاعوا مركزهم السياسى والاجتماعى والصناعى ، كما أضاعوا أستاذيتهم العليا على الغرب ، وعلى العالم أجمع ، وكانوا هم السبب الوحيد فى انحطاطهم ، وجعلوا مسوغا لأعداء الاسلام أن يرموا الدين الاسلامى بالجمود والتأخر ، بناء على جمودهم وتأخرهم الممقوت فى كل أحوالهم الدينية ، والدنيوية ، والاجتماعية

نظرية الدكتور غوستاف لوبون

وقال الدكتور (غوستاف لوبون) الفيلسوف الفرنسى فى كتابه (سر تطور الامم) تعريب فتحى زغلول باشا فى صحيفة (١٥٩) :

اتحدت قبائل العرب بفكرة محمد ﷺ فاستطاعوا قهر أمم كانت لا تعرف منهم حتى الأسماء ، وشادوا تلك الدولة الكبرى - ثم قال - :

ومن أجل ذلك ساد أتباع محمد بتشدده ، وامتد سلطانهم على قسم كبير من الدنيا زمنا طويلا ، ولا تزال لهم خشية فى النفوس

وقال الدكتور غوستاف أيضاً فى كتابه (تمدن العرب) نقلا عن كتاب (الاسلام فى عصر العلم) من الجزء الثانى بصحيفة (١١٢) :
العرب مع ولوعهم بالابحاث النظرية لم يهملوا تطبيقها على الصنائع ، فقد أكسبت علومهم لصنائعهم جودة عظيمة جداً ، واننا وان كنا لم نزل نجهل أكثر الطرائق التى سلكوها لذلك ، إلا أننا نعرف نتائجها وآثارها ، فنعرف مثلا أنهم احتفروا المناجم ، واستخرجوا منها الكبريت ، والنحاس ، والزئبق ، والحديد ، والذهب . وأنهم برعوا جداً فى صناعة الصباغة ، وأنهم مهروا فى سقى الفولاذ مهارة بعيدة المدى ، حتى ان صفاح طليطلة أصدق البراهين على ذلك . ونعرف أيضاً أنه كان لمنسوجاتهم وأسلحتهم ومدبوغاتهم من الجودة ولورقهم شهرة عامة . وأنهم فى كثير من فنون الصنائع برعوا براعة لم يلحق لهم شأو فيها للآن . — ثم قال — : من بين المكتشفات المعزوة للعرب أشياء ذات شأن كبير ، كالبارود مثلا . وهذه المكتشفات لا يجمل بنا أن نسردها سرداً ، بل يجب علينا أن نهبها شيئاً من التفصيل . — الى ان قال — : مما مر يتجلى للقارىء أن المكتشفات العربية فى العلوم الطبيعية لا تقل فى الخطورة والقدر عما لهم منها فى العلوم الرياضية والفلكية ، وما نسرده عليك هنا يعرب لك عن تلك الخطورة ، وذلك أنه كانت لهم معلومات عالية فى الطبيعة النظرية خصوصاً فى نظريات الضوء والابصار

وقد حفظ عنهم اختراعهم لاجهزة ميكانيكية من أدق ما يعرف من نوعها ، واكتشافهم للجواهر التى تعد من أعظم أراكين علم الكمياء ، مثل الكحول وحمض النيتريك وحمض الكبريتيك . وقد سجلت لهم أكبر العمليات الأساسية مثل التقطير ، وأثر عنهم استخدام الكمياء لفن الصيدلة والصناعة ، وخصوصا لاستخراج المعادن وصنع الفولاذ والصبغ الخ ، وعرف عنهم عمل الورق من الخرق ، ويرجح أنهم طبقوا البوصلة على فن الملاحة وأدخلوا هذا الاكتشاف الاساسى الى أوربا انتهى

هذا بعض ما قاله الدكتور غوستاف لوبون عن مدنية العرب الاسلامية وحضارتها واكتشافاتها وصناعتها وفنونها الجميلة ، وهذا شيء لا يختلف فيه أحد ممن درس التاريخ الاسلامى ومدنية الاسلام العربية ، غير أن المنصفين من الغربيين هم الذين صرحوا بها رغما عن الملاحدة والمبشرين الذين قد تعمدوا إنكار الحقائق عموما عما كان للاسلام من رقى وعمران وحضارة ، سواء كان ذلك عن علم أو عن جهل ، ولكل حظه من السعادة والشقاء ، والصدق والكذب

نظرية الاستاذ لاين بول

وجاء فى تاريخ العرب فى إسبانيا كلمة للاستاذ (لاين بول) قال : لبثت اسبانيا فى قبضة المسلمين ثمانية قرون وضوء حضارتها الزاهرة يبهر أوروبا ، وأزهرت بقاعها الخصبة بمجهود الفاتحين ، وأنشئت

المدائن العظيمة فى سهول الوادى الكبير ووادى يانا ، فلم يبق ثمة ما يذكرنا بماضيها المجيد سوى الأسماء ، والأسماء فقط . وتقدمت فيها الآداب والعلوم والفنون ، دون سائر الاقطار الاوربية الاخرى ، فهرع اليها الطلاب من فرنسا وألمانيا وإنجلترا ليردوا مناهل العلم التى كانت تفيض على البلاد العربية دون غيرها ، وكان جراحو الأندلس وأطباؤها من أبطال العلم ونوابغ الفنون ، ونبغت بقرطبة نسوة طبيبات شجعن على المثابرة فى الدرس والتعمق فى البحث ، ولم تثمر وتكتمل زهرة العلوم الرياضية والفلكية والنباتيه والتاريخ والفلسفة والتشريع إلا فى إسبانيا العربية ، ومهر العرب الاسبان فى الزراعة وطرق الرى الفنية وفى فن التحصين وبناء السفن وفى صناعة الغزل . كذلك نبغوا فى فنون الحرب نبوغهم فى فنون السلام ، فلبثوا زمنا مديدا فى طليعة المتفوق الظافر ، وبينما كانت أساطيلهم تنافس الفاطميين سيادة البحر ، اذا بجيوشهم تحمل النار والسيف الى أمم النصرانية ، فكل مايدعو الى عظمة أمة وسعادتها وكل ما يؤدى الى رقى باهر وحضارة سامية فاز به مسلمو اسبانيا . انتهى

هذا ماقاله لاين پول عن مدنية العرب فى الاندلس ، وأنهم هم أساتذة الغرب فى عموم الفنون والعلوم والصنائع . وكان بحثه منحصرا فى الاندلس خاصة لان موضوع كتابه كان خاصا باسبانيا ، ولم يتعرض

لحضارة الاسلام فى أقاليم الشرق عامة . وعلى كل فقد كان من طبقة المنصفين الذين يتتبعون الحقائق ويذكرونها فى مصنفاتهم بصورة صحيحة طبق الأصل ، ولو أن ذلك لا يتفق مع مصلحة المبشرين منهم

نظرية إسحاق طيلر

وجاء فى كتاب (الاسلام روح المدنية) فى الرد على كرومر للشيخ مصطفى الغلايينى بصحيفة (٣٨) نقلا عن (اسحاق طيلر) رئيس الكنيسة الانكليزية ببلاد الانكليز من خطاب فاه به فى مؤتمر الكنيسة أنه قال : الاسلام ينشر لواء المدنية التى تعلم الانسان ما لم يعلم ، والتى تقول بالاحتشام فى الملبس ، وتأمر بالنظافة والاستقامة وعزة النفس ، فمنافع الدين الاسلامى لا ريب فيها وفوائدها من أعظم أركان المدنية ومبانيها . انتهى . فهذا اعتراف من رئيس كنيسة بمزايا الاسلام مع أن القسس هم أشد الأمة المسيحية تعصبا ضد الاسلام والمسلمين ، ولكن مع مافيهم لا يخلو أن يكون واحد منهم يتكلم بصراحة عن محاسن الاسلام ولو كان ذلك ضد مذهبه

نظرية واشنطون إيرفنج

ونقل عن (واشنطون ايرفنج) أنه قال : القرآن فيه قوانين زكية سنية

نظرية الاستاذ جيبون

ونقل عن (جيبون) أنه قال : القرآن مسلم به من حدود الاقيانوس الاتلانتيكى الى نهر الغانج بأنه الدستور الاساسى ، ليس لأصول الدين فقط بل للاحكام الجنائية والمدنية وللشرائع التى عليها مدار نظام حياة النوع الانسانى وترتيب شئونه ـ وقال أيضا ـ إن الشريعة المحمدية تشمل الناس جميعا فى أحكامها ، من أعظم ملك الى أقل صعلوك ، فهى شريعة حيكت بأحكم وأعلم منوال شرعى لا يوجد مثله قط فى العالمين . انتهى

هذا ماقاله الاستاذ (جيبون) عن القرآن المجيد ، وعن التشريع الاسلامى وكونه يشمل الناس جميعا ، وأنه حيك بأحكم منوال شرعى ، فاذا قابلنا بين قول هذا المستشرق وبين قول من ينتمى الى الاسلام ، ذلك الذى يقول بكل وقاحة : ليس فى القرآن تشريع منتظم ، فماذا تكون النتيجة ؟ لا شك أن يكون الأخير أجهل من الحيوانات العجم ، إذ أن المستشرق يستطيع أن يفقه التشريع الاسلامى ، وذلك الذى يدعى الانتماء الى الاسلام والى القضاء الشرعى يجهله ، ولا يكتفى بالجهل بل يتعمد الالحاد فى الدين الاسلامى ولا يستحيي من الله والناس ، وذلك هو الخزى فى الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى

نظرية دوزى

وقال الاستاذ المستشرق الكبير (دوزى) : بينما أهل أوروبا نائمون فى ظلام الجهالة لا يرون الضوء إلا من سم الخياط ، إذ سطع نور قوى من جانب الامة الاسلامية ، من علوم وأدب وفلسفة وصناعات وأعمال يد وغير ذلك ، حيث كانت مدن بغداد والبصرة وسمرقند ودمشق والقيروان ومصر وفاس وغرناطة وقرطبة مراكز عظيمة لدائرة المعارف ، ومنها انتشرت فى الامم ، واغتنم منها أهل أوروبا فى القرون الوسطى مكتشفات وصناعات وفنون عظيمة . وقال دوزى أيضا فى كتابه (ملوك الطوائف) بصحيفة (٣٩٩) : إننا نرى أن الاسلام قد انتشر بسرعه مدهشة بين تلك الشعوب التى غزاها ، وهذه ظاهرة لم ير لها العالم مثيلا من قبل ، وهى تبدو لأول وهلة لغزاً مستسراً لا سبيل الى حله وتعليله ، لاسيا إذا عرفنا أن هذا الدين لم يُكره أحداً على الدخول فيه ، وقد كان محمد يأمر بالتسامح والاغضاء ، وقد وضع للمسلمين قاعدة الجزية وفرضها على كل من لم يدن به من أهل الكتب المنزلة من اليهود والنصارى ، فنحهم حريتهم الدينية على أن يدفعوا ما فرضه عليهم من الجزية ، وزاد فى تسامحه فمنح هذه المزية لمن يقطن إقليم البحرين من المشركين . ثم قال : أضف الى هذا أن الحكم الاسلامى كما يتوخى التيسير والخير العام والبر بالشعوب المحكومة

لاسيا النصارى ؛ فقد كان سواد المسيحيين فى الشرق ينتمى الى مذاهب لقيت من اضطهاد حكومة القسطنطينية وإعناتها ماأرهق أصحابها إرهاقا فلماجاء الاسلام - ومن طبيعته التسامح والاخاء - ترك لهم الحرية التامة فى البقاء على دينهم ما داموا يؤثرونه على غيره من الأديان ، وظللهم بحمايته ، وسوى بينهم فى الحقوق على اختلاف مذاهبهم وشتى نحلهم . ولا تنس أنهم كانوا مضطرين الى دفع ضرائب قادحة للامبراطور الرومانى ، فلما جاء الاسلام أعفاهم منها ، ولم يفرض عليهم إلا جزية معتدلة لا ترهق أحداً . ومتى عرفت هذه الأسباب زالت دهشتك وعجبك من إيثارهم حكم المسلمين على حكم الرومان ، واندفاعهم الى مساعدة العرب فى فتوحاتهم بكل قلوبهم وقواهم ، بدلا من مناوأتهم والتألب عليهم . واذا كان ذلك كذلك فما بالهم لا يبقون على دينهم ؟ وأى شىء حفزهم الى الدخول فى هذا الدين الجديد من غير أن يكرهوا على الدخول فيه ، وهم يعلمون أن إسلامهم لا يرتاح اليه ملوكهم . لقد تضافرت عدة أسباب على الوصول الى هذه النتيجة . وقد ألممنا آنفاً الى مايعود عليهم من الفائدة المادية إذا أسلموا ، لان إعفاءهم من الجزية على اعتدالها كان مما يرغبهم فى الاسلام ، وأضف الى هذا ما يشعرون به من الكرامة الشخصية إذا أسلموا وأصبح لهم من الحقوق ما للمسلمين ، على أن إسلام المسيحى كان الخطوة الأولى الى الكرامة والشعور بالعزة ،

والزمن وحده كفيل بتحقيق ماياتها من الخطوات ، ولن يلبث ابن المسيحى أن يصبح مسلماً أصيلا يتمتع بكل ما يتمتع به العربى من عزة وكبرياء . ثم قال دوزى فى صحيفة (٤٠٥) : لو صح ما قاله القساوسة من أن محمداً نبى منافق كذاب فكيف نعلل انتصاره ؟ ومابال فتوحات أتباعه تترى وتتلو احداها الأخرى ؟ وما بال انتصاراتهم على الشعوب لا تقف عند حد ؟ وكيف لا يدل ذلك على معجزة هذا الرسول ؟ لقد كانوا يعتقدون أول أمرهم أن خذلان المسلمين سيتم بمعجزة قريبة ، فقد طالما سمعوا عن معجزات الكنيسة التى كانت تحدث لأقل مناسبة ، وانتظروا هذه المعجزة التى تخلص البلاد المسيحية من غزوات المسلمين ، ولكن انتظارهم تلك المعجزة قد طال وذهب صبرهم أدراج الرياح وعبثاً حاولوا وقوع هذه المعجزة . وأعجب من ذلك أن معجزة إن لم نقل بمعجزات قد حدثت حقاً فى ذلك العصر وكانت معجزة أعظم مما كان يتوهمه القديسون أنفسهم ، وأى معجزة أروع وأعجب من أن نرى شعباً كان الى زمن قليل فى غيابة من الخمول ثم ظهر الى الدنيا فجأة وظل يتقدم بسرعة لا مثل لها وهو يغزو الارجاء الفسيحة وينتصر على قطر بعد قطر ، فتدين له البلاد بالطاعة والولاء ، وتقبل على دينه من كل حدب وصوب راضية غير مكرهة . ولو أننا عزونا إقبال المسيحيين على الاسلام الى الفائدة الشخصية أو الرغبة فى التخلص من الذل والضعة فنحن جديرون أن نقر أن من الثابت المحقق أن كثيراً من المسيحيين دانوا بالاسلام

عن عقيدة وإيمان . اهـ

هذا ما قاله المستشرق (دوزى) عن دين الاسلام ، وتسامح الاسلام وحضارة الاسلام . وأبان عن حالة المسيحيين وكيف كان دخولهم فى الاسلام طوعا باختيارهم ، بغير إكراه ولا إجبار ، رغبة منهم لكونهم وجدوه مهبط الرحمة ، ومعدن الشفقة ، ومأوى الحضارة الراقية ، وسبيل الخير والصراط المستقيم . وقد اعترف (دوزى) أيضاً بأن القرآن كلام الله تعالى المنزل على نبيه محمد ﷺ فى صحيفة (٣٩٨) بقوله : لايفوتنا أن نذكر القارئ بأن القرآن هو كلام الله ، وأنه جعل الجواب على لسان نبيه محمد بقوله تعالى ﴿ قالت الأعراب آمنا ، قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ﴾ انتهى ، وكل ذلك كان من (دوزى) ليشرح لأمته المسيحية حالة الاسلام الحقيقية ويرد على القساوسة فريأتهم التى اختلقوها على الدين الاسلامى ، تلك الأكاذيب التى لاتنطبق على الواقع . مع أنه مسيحى مستشرق ، ولكنه يصرح بما ظهر له عن الدين الاسلامى ، والأمة العربية التى قامت بنشر الاسلام وبث دعوته بين سائر الأمم ، وأذاعت للملأ عموما ماجاء به الدين الحنيف من الهدى والصلاح والعدل والحرية والمساواة بين طبقات البشر . والذى يوجب الأسف أن الملاحدة الذين ينتسبون الى الاسلام اسمياً ينكرون كل ذلك بكل وقاحة وبغير خجل ، لأنهم فى شغل شاغل لما هم فيه من التخبط فى لجج الجهل والغباوة والارتباك والتشكيك

نظرية الدكتورة فاليرى

وقالت الدكتورة (لورافيتشا فاليرى) الكاتبة الايطالية فى كتابها (محاسن الاسلام) صحيفة (٣) : هدأت فى أيامنا هذه نار الحقد والكراهية التى كانت تتأجج فى صدور الباحثين من الاوربيين فى الشئون الاسلامية طول سنى القرون الوسطى ، وفى جانب كبير من سنى العصر الحاضر ، ولم يعد نبى العرب ـ فى نظر أحد ممن يتصدون لهذه الأبحاث ـ ذلك المستحق لأحد الشتائم وأقذع عبارات السباب ، حيث ظهرت فى العهد الأخير أبحاث ادعى أصحابها التزام جانب الحياد التام فيما كتبوه ، وزعموا أنهم خالون من الغرض وسوء النية . الى أن قالت : ولما كانت النتائج التى وصل اليها هؤلاء الباحثون الغربيون غير متوفرة فيها الغيرة الصادقة الواجبة ، فهى لهذه الأسباب لاتصلح لأن تكون أساساً لكتابة يقصد منها اطلاع الغربيين على كنه الديانة الاسلامية والشريعة السمحة ، اذ أن المستشرقين أمثال (موير) و (اسبرنجر) والذين تلوهم أمثال (نولديكه) و (كايتانى) وغيرهم الذين سلكوا فى النقد طرقا تختلف جد الاختلاف عن طرق البحث عند علماء المسلمين ، قد وصلوا الى التسليم بصدق محمد ، وخلوص نيته ، والى التأكيد فى شىء كثير أو قليل من الوضوح بصحة استعداده بصورة لاتقبل الجدال لوحى عمدوا الى تفسير

حفاياه ، أما المتأخرون منهم فقد استخلصوا أصول كل عناصر العقيدة الاسلامية وبحثوا أدوار نشوئها وارتقائها ، حتى وصلوا الى الاقتناع بان كثيراً مما يعتقد المسلمون منزل من عند الله على لسان محمد رسوله . ثم قالت فى صحيفة (١٠) : فى بلدقفر بواد غير ذى زرع منعزل عن الانسانية المتمدنة ، تفجر ينبوع ماء سلسل عذب منعش بين قوم من الهمج جبابرة غلاظ القلوب لا يخضعون لسلطان ولا يتقيدون بقيد ، ذلك الينبوع هو دين الاسلام الذى تدفق بغزارة ، واتخذ سبيله فى الارض سربا ، فكان نهيراً ، استحال بعده الى نهر عظيم ، سرعان ماتفرعت منه آلاف الجداول والأنهار التى تغلغلت فى البلاد طولا وعرضاً ، ولم يلبث الناس أن تذوقوا هذا الشراب العجيب وشفوا من أمراضهم الاجتماعية ، واتحد المختلفون منهم والمتخاصمون ، وانطفأت نيران الحقد والكراهية المشبوبة فى صدورهم وزالت من بينهم أسباب النفور والخلاف ، استحال هذا الماء المقدس سيلا جارفا اكتسح بقوته الساحرة بلاداً عظيمة ، فثل عروشها ، وطوى مجدها طى السجل للكتب . لم يشهد التاريخ حادثا مماثلا لهذا الحادث الخطير ، لأن السرعة العظيمة التى أتم بها الاسلام فتوحاته كان لها أبلغ الأثر فى حياته ، إذ أنه بعد أن كان عقيدة نفر قليل من المتحمسين ، أصبح دينا لعدة ملايين من الناس . وليت شعرى كيف تأتى لهؤلاء المجاهدين غير المدربين أن ينتصروا على شعوب يفوقونهم مدنية وثروة ويزيدون عليهم دربة ومراساً للحروب ؟

وكيف استطاعوا أن يبسطوا سلطانهم على بلاد متسعة الارجاء ، وأن يحتفظوا بفتوحاتهم هذه ويوطدوا هذا الصرح العظيم الذى ثبت أمام حروب شديدة استمرت قرونا عديدة ، فلم تقو على هدمه ونقض بنيانه الشامخ المتين ، وكيف أمكن هـذا الدين أن يوطد فى نفوس أولئك المهتدين الحديثى الايمان أمتن الأسس ، وكيف تسنى له أن يحتفظ بحيويته العظيمـة التى لم تعرف مثلها ديانة أخرى قبل ، حتى بعد ثلاثة عشر قرنا خلت بعد حياة مؤسسه ؟ وكيف استطاع هذا الدين أن يغرس تلك الحماسة الدينية فى نفوس أتباعه الجدد المختلفين عن أتباعه الأول فى الجنس والثقافة فحذوا حذوهم فى الاخلاص له والتضحية فى سبيله ؟ لعمرى إن هذا كله لما يبعث فى الانسان الشئ الكثير من الدهشة والذهول . ثم قالت : أفليس من أكبر معجزات هذا الدين الجديد أن يؤلف بين قلوب أقوام كهؤلاء العرب عاشوا أجيالا عديدة فى مخاصمات شديدة ، وحروب أهليـة مستمرة ، فعرفوا بفضله الاتحاد والاخاء والسلام . أما الخلفاء الذين خلفوا محمداً فى حكم الدولة الاسلامية والذين كانوا تراجمة ضميره فقـد ساروا على سنته التى سنها لهم ، وحملوا راية الاسلام الى قلب القارة الاسيوية من جهة ، والى أمواج المحيط الاطلسى من الجهة الاخرى . لم تكن قد مضت سوى ست عشرة سنة عندما سقطت دولة الفرس فى أيدى العرب بعد موقعة القادسية ، مع أن هذه الامبراطورية ظلت

مدى أجيال عديدة فى عراك مستمر مع الامبراطورية الرومانية الشرقية بدون أن تتغلب إحداهما على الأخرى ، أما ملك الفرس كسرى فقد هرب من العرب وجعل يلجأ الى إقليم بعد إقليم حتى بلغ حدود بلاده ، ومات فى سنة ٣١ هجرية ، وبذلك صارت إمبراطوريته بأجمعها بلاداً عربية ، وبعد أن زالت مدنيتا الدولتين الفارسية والرومانية ، وتهدمت ديانتاهما ، سرى فى عروق الشعوب تيار جديد ، وانتشرت بينهم ديانة جديدة بسيطة تتحدث الى العقل ، والى القلب معا ، كما ظهر نظام جديد للحكم يفضل كثيراً تلك النظم التى كانت متبعة هناك فى ذلك الوقت نظراً لمبادئه الخلقية القويمة ، كذلك انتقل مال المجوس من خزائن الأشراف الى أيدى الفقراء وعامة الشعب ، وأخذت تتناوله الأيدى مرة ثانية وتستفيد من ثمراته ، وقد ظهر فى الحكم رجال أذكياء مستنيرون أقاموا حكومة رشيدة تستند الى آراء ديمقراطية صحيحة ، وقد تدرجوا فى الحكم وتبوؤا أسمى المراكز . ثم لما هدأت عاصفة الفتوحات وما تبعها من فوضى وتعسف ، بدأ عهد جديد ، عهد نجاح وثراء ، لم تره القارة الاسيوية منذ قرون بعيدة ، كما أن المقهورين كانوا يجدون من حكامهم الجدد كل ضمان لطأنينتهم ويتمتعون بكافة حقوقهم المشروعة ، كما أن أرواحهم وأملاكهم كانت مكفولة . وبالجملة كانوا يعاملون معاملة إخوانهم المسلمين سواء بسواء . أخذ الناس الذين

دهشو لهذا الانقلاب الاجتماعى الدينى السياسى يتساءلون عن سببه الأول ولكن الكثيرين منهم كانوا لا يبصرون ، أو تعمدوا إغماض عيونهم فظلوا يتخبطون طويلا فى مجاهل الغلط والشطط ، ولم يدركو أن القوة الإلهية هى التى أعطت الإشارة الأولى لهذه الحركة المباركة الواسعة النطاق ، ولم يشأوا أن يصدقوا أن الحكمة الإلهية هى التى اقتضت أن يكون محمد خاتم الأنبياء والمرسلين ، وسجلت له الى الآن رسالة عامة الى الناس أجمعين ، بغير تمييز بين جنس وجنس ، أو بين بلد وبلد

وهنا أخذت الدكتورة الايطالية تذكر فريات المبشرين وبعض المستشرقين من الاوربيين ، وترد عليهم فرياتهم ، وتقص على القراء أخبار البعثة النبوية بمكة ، والهجرة الى المدينة ، ومعاداة اليهود له ﷺ بالمدينة ، وتسامحه وتغاضيه فى كثير من الأشياء الى أن قالت : وكما كان النبي يعقد المعاهدات مع خصومه المغلوبين على أمرهم ، فكذلك فعل الخلفاء إذ كانوا كلما تمادوا فى الظفر والانتصار يرتبطون مع المقهورين بأوثق المعاهدات ويتركون لهم الحرية فى البقاء على دينهم وتقاليدهم القديمة فى مقابل أداء فريضة هينة غاية فى الاعتدال وهى (الجزية) التى كانت أقل بكثير مما كانوا يدفعونه من الفرائض لحكوماتهم السابقة ، وكان الخلفاء يشملون رعاياهم هؤلاء الذين كانوا يسمونهم أهل الذمة بحماية

ورعاية لاتقلان عما كان يتمتع به المسلمون . ولما كانت تعاليم النبى وخلفائه الأول تعتبر بمثابة قانون للمسلمين ، فانه يمكن القول بحق إن الاسلام لم يقتصر على التوصية بالتسامح ، بل انه قد أدمجها فى قانونه السماوى ، بحيث صارت قاعدة أصلية من أصول الدين ، فعند ما كان يتم الصلح مع الشعب المقهور كان المسلمون يتركون له حريه الفكر وحرية العقيدة ، ولم يحاولوا حمله بالعنف على تغيير عقيدته الاولى ، كما أنهم لم يرسلوا مع جنودهم الظافرة حملة من جماعات الوعاظ المبشرين الرسميين اللجوجيين بقصد نشر الدين . الى أن قالت : حسبنا ما قدمناه من الأدلة والبراهين ، لأن رجال الغرب أيضاً قد بدأوا يقتنعون بأن إخلاص محمد فى دعوته كان أمراً لاريب فيه ، ولقد كان محمد كرسول يدعو الى الله رجلا رحيما لين الجانب حتى لأعدائه الشخصيين ، وبذلك اجتمعت فيه فضيلتان كلتاهما أكبر الفضائل التى يتصورها العقل البشرى ، الرحمة والعدالة ، ولانرى بنا من حاجة الى إيراد الأمثلة على ذلك ، فمن السهل الوقوف على كثير منها فى الكتب الموضوعة عن تاريخ حياته ، وحسبك أن الحرب التى هى أقصى ضرورات الحياة الانسانية قد صارت بفضله أقل وحشية وقسوة ، إذ انه كان يطالب الى جنوده ألا يقتلوا شيخا ولا امرأة ولا طفلا ، ولا يهدموا بيوتا لم تتخذ كمعاقل حربية ، ولا يدمروا مابها من أسباب الحياة ، ولايمسوا الاشجار المثمرة والنخيل

ثم قالت : والآن وقد انتهينا من الرد على تلك التهم التي وجهت الى الإسلام في الغالب نضع هذا السؤال : كيف لم ينقطع الاسلام عن الانتشار والذيوع في افريقية وآسيا ، رغم حرية الاعتقاد الكبيرة التي يتمتع بها غير المسلمين في البلاد الاسلامية ، ورغما عن عدم وجود نظام للدعاية الإسلامية ، ورغما من الانصراف عن الاهتمام بالشؤون الدينية في هذه الأيام الأخيرة ، وهو الآن لايسبقه سيف الفاتحين ، بل على النقيض من ذلك فان البلاد التي كانت ترفرف فوقها رايته أضحت محكومة برجال ذوى عقائد أخرى ، ولم يستطيعوا مع ذلك أن يصرفوا رعاياهم عنه أو يقتلوه من قلوبهم ، فأية قوة عجيبة تنطوى عليها هذه الديانة ؟ وماهى قوة الاقناع التي تستند اليها ؟ وفي أية عروق النفس البشرية تجد غذاءها وقوام حياتها ؟ الى أن قالت في صحيفة (٥٠) : إن الناس انتلهف على دين يتفق وحاجاتهم ومصالحهم الدنيوية ، ولايكون قاصرا على إرضاء مشاعرهم وإحساساتهم ، ويريدون أن يكون هذا الدين وسيلة لأمنهم وطمأنينتهم في الدنيا والآخرة ، وليس هنا من دين تتوفر فيه هذه المزايا كلها بشكل رائع سوى دين الاسلام ، إنه ليس مجرد دين فحسب ، بل إن فيه حياة للناس ، لأنه يعلمهم كيف يحسنون التفكر والكلام ، ويحضهم على فعل الخير وصالح الأعمال ، ولذلك سرعان ما شق طريقه الى القلوب والأفهام . اهـ

وقد تطرقت هذه الفتاة الفاضلة الى كثير من المسائل الخلافية الواقعة بين الاسلام والنصرانية واليهودية ، ورجحت بالأدلة المنطقية والسياسية جانب الدين الاسلامى ، وقد اقتصرتُ على ما تقدم خشية الاطالة :

ولاأدرى اذا وقف الملاحدة على أبحاث هذه الفتاة الفاضلة ماذا يكون موقفهم ؟ أيخجلون من جهلهم العميق ؟ أم يتمادون فى غباوتهم ؟ والظاهر أنهم فى غباوتهم يعمهون ، لانهم لايسمعون ولا يبصرون ولا يفهمون

نظرية داود اركوهات

وجاء فى كتاب (الاسلام روح المدنية) أيضاً عن (داود أركوهات) انه قال : إن الاسلام دين لا يأمر باتباع عقائد جديدة ، ولايقول بانزال وحى جديد وسنن جديدة ، وليس فيه كهنوتية أو معابد سياسية ، بل فيه دستور الامم ونظام الممالك . ا ﻫ

وكان مراده الرد على المذاهب المسيحية التى قد حرفتها القساوسة من زمن بعيد ، وأخرجت مذهب المسيح عليه السلام عن كل مانزل على عيسى من الانجيل الصحيح وتصرفت فيه على حسب مرادها

نظرية ليون روش

وجاء فيه أيضاً نقلا عن جريدة (اللواء) ماعربته عن كتاب عنوانه (ثلاثون عاما فى الاسلام) ألفه موسيو (ليون روش) السياسى الفرنسى

الذى أقام فى بلاد المسلمين ثلاثين سنة تعلم فى أثنائها اللغة العربية وفنونها وقرأ العلوم الاسلامية ، وعاشر المسلمين فى الجزائر وتونس و الاستانة ومصر والحجاز ، وقد اختبر بهذه المدة الطويلة أحوال المسلمين من سائر الطبقات . ولا شك أنه قد اطلع على شىء من الكتب الإسلامية المدونة فى العقائد و التشريع . و اليك الجملة المعربة . قال مسيو ليون روش :
اعتنقت دين الاسلام زمناً طويلا لأدخل عند الامير عبد القادر دسيسة من قبل فرنسا . وقد نجحت فى الحيلة ، فوثق بى الأمير وثوقا تاما ، واتخذنى سكرتيراً . فوجدت هذا الدين الذى يعيبه الكثير أفضل دين عرفته . فهو دين إنسانى طبعى اقتصادى أدبى ، ولم أذكر شيئاً من قوانيننا الوضعية إلا وجدته مشروعا فيه . بل إنى عدت الى الشريعة التى يسميها (جول سيمون) الشريعة الطبيعية ، فوجدتها كأنها أخذت عن الشريعة الاسلامية أخذاً . ثم بحثت عن تأثير هذا الدين فى نفوس المسلمين فوجدته قد ملأها شجاعة وشهامة ووداعة وجمالا وكرما . بل وجدت هذه النفوس على مثل ما يحلم به الفلاسفة من نفوس الخير والرحمة والمعروف ، فى عالم لايعرف الشر واللغو والكذب . فالمسلم بسيط لايظن بأحد سوءا . ثم هو لا يستحل محرما فى طلب الرزق ، ولذلك كان أقل مالا من الاسرائيليين ومن بعض المسيحيين . ولقد وجدت

فيه حل المسألتين الاجتماعيتين اللتين تشغلان العالم طراً : الاولى فى قول القرآن ﴿ إنما المؤمنون إخوه ﴾ فهذه أجمل مبادىء الاشتراكية . الثانى فرض الزكاة على كل ذى مال ، وتخويل الفقراء حق أخذها غصباً إن امتنع الأغنياء عن دفعها طوعا ، وهذا دواء الفوضوية

هذا ما قاله الموسيو ليون روش الفرنسى عن التشريع الاسلامى وما فيه من الحكم التى تزيل من المجتمع الانسانى (الاشتراكية والفوضوية) ، غير أن ماقاله فى مسألة الزكاة من كون التشريع الاسلامى يخول للفقراء حق أخذ الزكاة من الاغنياء غصباً إذا امتنعوا عن أدائها ، لم يكن الأمر فى الاسلام كما قال ، فان الشريعة الاسلامية لم تخول للفقير أن يأخذ الزكاة من الغنى قهراً اذا امتنع عن دفعها له ، وإنما خولت ذلك للخليفة أو أمير المؤمنين أو السلطان ، كما عمل الخليفة الأول أبو بكر الصديق رضى الله عنه فى قتال من امتنع عن الزكاة

ثم قال الموسيو (ليون روش) عن الدين الاسلامى إجمالا : إنه دين المحامد والفضائل ، ولو أنه وجد رجالا يعلمونه الناس حق التعليم ويفسرونه تمام التفسير لكان المسلمون اليوم أرقى العالمين وأسبقهم فى كل الميادين ، ولكن وجد بينهم وياللأسف شيوخ يحرفون كلمه ، ويمسخون .. ، ويدخلون فيه ما ليس منه . الى آخر كلامه

هذا مايقوله ليون روش عن محاسن الاسلام ؛ وقد صدق فى قوله : لو أنه وجد رجالا يعلمونه الناس حق التعليم . وقوله : ويالأسف وجد بينهم شيوخ يحرفون كله ، الخ . فان الدين الاسلامى أصيب بكثير من المصائب الداخلية والخارجية ، وكانت مصائبه الداخلية أشد وأشنع وأفظع من مصائبه الخارجية ، وقد دخل على الدين الاسلامى بعد عصر الخلفاء الراشدين كثير من البدع والخرافات والعقائد الفاسدة من معتزلة وروافض ودهريين وإلحاديين ومشككين ودجالين ومشعوذين وقصاصين خرافيين ، وأخذ هذا الحال يتطور بحسب تطور الازمان ، ويتسع نطاقه ، الى هذا العصر الذى أصبح معظم المسلمين فيه بعيدين عن التمسك بأساس الدين الاسلامى الصحيح الذى كان عليه النبى ﷺ وأصحابه من بعده ، حيث قد كثر التفرنج فى المنتسبين اليه ، وطغى سيل الإلحاد والتشكيك حتى كاد يجترف معظم الشبيبة الإسلامية ؛ بسبب أن أكثر أساتذة المدارس فى البلاد الاسلامية المستعمرة الحاديون ويزعمون أنهم من المسلمين لكون آباءهم كانوا مسلمين وسموهم بأسماء المسلمين ؛ وما نسبتهم الى الاسلام إلا خدعة لاغراء آباء التلاميذ ؛ والا فهم من أذناب المبشرين ، وقد ساعدتهم الظروف حال غفلة المصلحين من المسلمين وجهل آباء التلاميذ الذين رمتهم الاقدار فى تلك المدارس التى قد

تربع على كراسى التدريس فيها وفى الاندية والمجتمعات أناس لم يدخل الايمان فى قلوبهم من أصل نشأتهم وان سموا بأسماء المسلمين، وأخذوا يلقون على مسامع تلك الناشئة الاسلامية صنوف الالحاد والتشكيك، والطعن فى القرآن المجيد، والتشنيع على التشريع الاسلامى، والحط من كرامة رجال العلم والاصلاح؛ أولئك الذين هم سلف الأمة الاسلامية الصالح؛ ويشككونهم فى صحة كتب الإسلام التى دبجتها أقلام فطاحل العلماء الأمجاد الذين قد ضحوا حياتهم فى خدمة الاسلام والمسلمين، ويرمون مؤلفيها بالجمود والرجعية والغفلة والوهم والجهل والغباوة، وأن عموم مادونوه حديث خرافة لا أصل له؛ مع أنهم هم بذلك أجدر، وأصبح ويا للاسف هؤلاء المردة إخوان الشياطين هم أكثر عدداً فى العصر الحاضر من رجال الاصلاح فى كثير من البلاد الاسلامية وبالاخص فى البلاد المستعمرة، وصار رجال الاصلاح مكتوفى الأيدى، مكمومى الأفواه، لايستطيعون أن ينبسوا ببنت شفة إلا وقد تكالب عليهم رجال الاستعمار والتبشير، وفى مقدمتهم الملاحدة المنتسبون الى الاسلام خدعة، ومن ورائهم آباء التلاميذ أولئك الذين لا يعرفون من الاسلام غير اسمه، لان غايتهم من تعليم أبنائهم فى تلك المدارس هى حب الشهرة، وكون أبنائهم يخرج أحدهم من المدرسة وهو يحمل تحت إبطه شهادة مهندس أو محام أوكيماوى، ولو فقد فى سبيل

ذلك دينه وجامعته الاسلامية ، حيث لايهم ذلك الأب الغبي من أمر دينه شيء لجهله بالدين وما جاء به سيد المرسلين من عند رب العزة من الهدى ودين الحق ، وربما كان ظنه أن الدين الاسلامى عبارة عن الجنسية الأسلأمية فقط . والذى جعل الآباء بهذه الصفة من الجهل هو إهمال آبائهم وولاة أمرهم لهم لكونهم لم يعلموهم على الاقل مبادئ الدين الحنيف . أليس من المخجل أن يكون الموسيو (ليون روش) عرف ذلك ، وكثير من المسلمين يجهلونه ؟ هذا مادعانى الى التعليق على كلامه . والله الهادى الى صراطه المستقيم

نظرية روبرتسون

جاء فى كتاب (الاسلام روح المدنية) أيضاً بصحيفة (٦١) عن (روبرتسون) المؤرخ الانكليزى الشهير ماخلاصته : فى الزمن الذى كان يتدارس فيه العرب هذه العلوم وينشرونها فى بلادهم كانت أهالى اوروبا فى حالة لازالوا هم أنفسهم يعمهون عليها حتى اليوم ؛ ولم يستفيقوا من ذلك الجهل المفرط والنوم العميق إلا بواسطة شروعهم فى تلك الغزوات الصليبية الوحشية التى أجروها مع المسلمين بقصد استخلاص البلاد المقدسة من أيديهم ، حيث مروا فى غزواتهم هذه وسيرهم جهة بلاد أورشليم بأرض نضيرة أكثر من أراضيهم وبدول متمدنة أكثر من

دولهم ، ووجدوا فى آسيا آثار تلك العلوم والفنون التى كان أسسها وأعان على تحصيلها الخلفاء العباسيون . اه

فهذا الاستاذ (روبرتسون) الانكليزى يصرح بأن غزوات أوروبا للمسلمين فى فلسطين كانت وحشية ، وأن تمدن الاسلام كان أفضل من تمدن أوربا ، وأن عمران المسلمين كان أبهى وأجمل من عمران أوربا ، فعسى بعد هذا أن يخجل الملاحدة ومن على شاكلتهم مما هم فيه ، ويتركوا التشنيع الباطل الذى يختلقونه ضد الاسلام والمسلمين

نظرية لوثروب ستودارد

وذكر (لوثروب ستودارد) الأمريكى فى كتابه (حاضر العالم الاسلامى) ماخلاصته قال « كاد يكون نبأ نشوء الاسلام النبأ الأعجب الذى دوّن فى تاريخ الانسان ؛ ظهر الاسلام فى أمة كانت من قبل ذلك العهد متضعضعة الكيان ، وبلاد منحطة الشأن ؛ فلم يمض على ظهوره عقود حتى انتشر فى نصف الارض ؛ ممزقا ممالك عالية الذرى مترامية الأطراف ، وهادما أديانا قديمة كرّت عليها الحقب والاجيال ؛ ومغيراً ما بنفوس الأمم والأقوام ؛ وبانياً عالماً حديثاً متراص الاركان ، هو عالم الاسلام الذى نشأ فى بلاد صحراوية تجوب فيافيها شتى القبائل الرحالة التى لم تكن من قبل رفيعة المكانة والمنزلة فى التاريخ ؛ فلسرعان ماشرع يتدفق وينتشر وتتسع رقعته فى جهات الأرض مجتازاً أفدح

الخطوب وأصعب العقبات ، دون أن يكون له من الأمم الاخرى عون يذكر ولا أزر مشدود ، وعلى شدة هذه المكاره فقد نصر الاسلام نصرا مبيناً عجيباً ، إذ لم يكد يمضى على ظهوره أكثر من قرنين حتى باتت راية الاسلام خفاقة من (البرانس) حتى (هملايا) ومن صحارى أواسط آسيا حتى صحاري أواسط إفريقية . كان لنصر الاسلام هذا النصر الخارق عوامل ساعدت عليه ، أكبرها أخلاق العرب ، وماهية تعاليم صاحب الرسالة وشريعته ، والحالة العامة التى كان عليها المشرق المعاصر فى ذلك العهد . إن العرب وان كان ماضيهم مابرح منذ عهد متطاول فى القدم حتى عصر الرسالة ماضيا غير مشرق باهر ، فقد كانوا أمة استودعت فيها قوة عجيبة ، تلك القوة الكامنة التى بدأت منذ نشوء الاسلام تظهر جلية الى عالم الوجود ، فقد ظلت بلاد العرب أجيالا طوالا من قبل محمد مباءة يشتد فيها ادخار القوى الحيوية ، وجيشان العوامل الروحانية ، كيف لا وكان العرب قد فاقوا آباءهم وأجدادهم إيغالا فى الشرك والوثنية ، وانقضى عليهم ـ وهم على هذه الحالة ـ عهد ليس بالقليل ، حتى استحالت عناصر أمزجتهم من شدة ذلك كله ، فصاروا توّاقين بفعل غرائزهم وأخلاقهم الى تبديل حالهم وتحسين شأنهم . هكذا كانت حالتهم العقلية والنفسانية ، حالة الاستحالة الكبرى والانقلاب العظيم والاستعداد الكبير ، لمّا صاح فيهم نفير الاسلام ، إن محمد ـ وهو عربى من العرب ـ

الا روح قومه متجسدة ، ونفسهم متجسمة . استطاع محمد وهو يبشر بالوحدانية تبشيراً عاريا عن زخارف الطقوس والاباطيل أن يستثير حق الاستثارة من نفوس العرب الغيرة الدينية ، وهى الغيرة الكامنة متمكنة على الدوام فى كل شعب من الشعوب السامية ، وإذهب العرب لنصرة ابن عبد الله من بعدما ذهبت من صدورهم الإحن المزمنة والعداوات الشديدة التى كان من شأنها من قبل الذهاب بحولهم وقوتهم ؛ وانضم بعضهم الى بعض كالبنيان المرصوص تحت لواء الرسالة فى رأسه نور للناس وهدى للعالمين . أخذوا يتدفقون تدفق السيل من صحاريهم فى شبه الجزيرة ليفتحوا بلاد الإله الاحد ، الفرد الصمد . ثم ذكر هنا ما كانت عليه فارس والروم من الانحطاط الاخلاقى والدينى. الى أن قال « ولم يمض سوى اليسير من الزمن حتى كان السواد الأعظم من هذه الامم المغلوبة قد دخل فى دين النبى العربى أفواجا ، إيثاراً له بجدته وسذاجته على ذينك الدينين اللذين صارا غاية فى الانحطاط والتدنى . وقد عرف العرب بدورهم كيف يستدنى الحكم ويوثق السلطان ، حتى دانت لهم أمور الملك واستقرت نقطة دائرتها فى أيديهم . فالعرب لم يكونوا قط أمة تحب إراقة الدماء وترغب فى الاستلاب والتدمير ، بل كانوا — على الضد من ذلك — أمة موهوبة جليل الاخلاق والسجايا تواقة الى ارتشاف العلوم محسنة فى اعتبار نعم التهذيب »

وقد أتى (لوثروب) على حالة تضعضع الاسلام بعد شموخه ، وعن الاسباب التي دعت الى ذلك بحسب ماظهر له ، وعن حالة الاسلام فى العصر الحاضر . وحيث لم يكن ذلك من بحثنا فى هذا الكتاب فقد اكتفينا بما تقدم ذكره ، منه يتضح للقارىء اعترافه بأن دين الاسلام هو دين العدل والحرية والحضارة والمدنية والتقدم والرحمة والشفقة

وجاء فى كتاب (الاسلام فى عصر العلم) للاستاذ فريد وجدى فى الجزء الاول بصحيفة (٢٧٧) عن المؤرخ (دروى) أحد وزراء فرنسا السابقين أنه قال : بينما أهل أوروبا تائهون فى دجى الجهالة لايرون الضوء إلا من سم الخياط ، إذ سطع نور قوى من جانب الامة الاسلامية ، من علوم وأدب وفلسفة وصناعات وأعمال يد وغير ذلك ، حيث كانت مدائن بغداد والبصرة وسمرقند ودمشق والقيروان وبصرى وفاس وغرناطة وقرطبة مراكز عظيمة لدائرة المعارف ، ومنها انتشرت فى الامم ، واغتنم منها أهل أوربا فى القرون المتوسطة صناعات وفنونا

نقل المؤرخ (سيديو) عن (هومبلد) أن العرب خلقهم الله ليكونوا واسطة بين الامم المنتشرة من شواطىء الفرات الى الوادى الكبير باسبانيا وبين العلوم وأسباب التمدن ، فتناولتها تلك الامم على أيديهم ، لأن لهم بمقتضى طبيعتهم حركة تخصهم أثرت فى الدنيا تأثيراً لايشبه بغيره . ثم

قال : وهذه حجة على أنهم كما قال غيرنا ونحن نعترف به (أساتذتنا ومعلمونا) . وهذا اعتراف منه صريح بأن العرب المسلمين هم أساتذتهم ومعلموهم ، والمعترف هذا وزير من وزراء فرنسا كما ذكرناه

نظرية الاستاذ درابر

وجاء فيه ايضاً بصحيفة (٢٧٨) عن الاستاذ (درابر) أستاذ كلية (نيويورك) بأمريكا أنه قال : إن أقوى وأكبر الممالك الدينية التى لم ير العالم مثلها قد ولدت فجأة ، وامتدت من المحيط الاتلانتيكى الى أسوار الصين ، ومع ذلك فلم تك قد بلغت نهاية ما قدر لها من الامتداد والنفوذ ، فلقد أتى عليها بعد ذلك حين من الدهر طردت فيه خلفاء القياصرة ، وملكت بلاد اليونان ، ونازعت النصرانية السلطة على أوربا ، ونشرت نفوذ عقائدها خلال الصحارى الموحشة والغابات الموبوءة ، من أول شواطىء البحر الابيض الى خط الاستواء . لقد طافوا (أى العرب) معاهد الفلسفة والعلم بسرعة تشبه السرعة التى طافوا بها مملكة الرومان ، إننا لتأخذنا الدهشة أحيانا لما نصادف فى كتبهم من آراء علمية كنا نظنها نشأت فى هذا القرن ، من هذا القبيل مذهب النشوء والترقى للكائنات العضوية فقد كان يدرس فى مدارسهم

وقال الاستاذ (درابر) عن مدنية الاسلام والامة العربية : إن

خلفاء الاندلس كانوا محاطين بأنواع الأبهة التى هى من لوازم الحياة الشرقية ، وكان لهم قصور عامرة ، وحدائق زاهرة ، وسرايات (اى قصور) يعمرها الجلالة و الجمال ، وإن أوروبا الحالية (اى فى حالتها العصرية) لا تعلو فى حسن الذوق و الرقة والظرف فى شىء من أشيائها عما كان بتلك العواصم : مضاءة بالليل ، مبلطة تبليطاً متقناً ، وكانت البيوت مفروشة بالبسط ومزينة حوائطها بالنقوش ، وكانت تسخن فى الشتاء بالمدافئ ، وترطب فى الصيف بتيارات من النسمات العطرة تصل اليها من سراديب تحت الارض مغطاة فوهتها بالأزهار الزكية ، وكان لهم حمامات ومكاتب ومحلات للغذاء وفوارات للمياه والزئبق ، وكانت المدائن والارياف حافلة بالاحتفالات والرقص الذى كانوا يأتونه على نغمة (العود) . و (المزهر) وكان شعار العرب فى ملاعبهم القناعة وطلاقة النفس ، بخلاف جيرانهم الغربيين فقد كان ديدنهم النهم فى الاكل و الادمان للسكر . وكان الخمر حراما عليهم لا يقربونه ، وكانوا يتمشون فى حدائقهم فى الليالى القمرية ، وفى غياضهم المنعزلة المزروعة برتقالا ، وهم يصغون الى قصة أدبية ، أو يتحاورون فى بعض المواضيع الفلسفية ، مسلين أنفسهم عن أحزان الدنيا بقولهم : إنها لو كانت خالصة من شوب الآلام لأنستنا الحياة الآخرة ، وراضين بالكد و التعب فى المعيشة الأرضية أملا فى نيل الرحمة الاخروية الدائمة

وجاء فى كتاب (الاسلام دين عام خالد) بصحيفة (١٠٦) عن الاستاذ (درابر) أيضاً أنه قال : سلك العرب الى أوروبا المسلك نفسه الذى سلكته أدبياتهم عن طريق جزيرة صقلية ، ومما ساعد على انتشاره فى أوروبا اعتزال البابوات ، فلهذا السبب تمكن العلم العربى من ترسيخ قدميه فى جنوب ايطاليا ـ الى ان قال ـ : وأول مدرسة أنشئت للطب فى أوروبا هى المدرسة التى أسسها العرب فى (بالرم) من ايطاليا ، وأول مرصد أقيم فيها هو ما أقامه المسلمون فى إشبيلية باسبانيا ـ ثم قال ـ : ولو أردنا أن نستقصى كل نتائج هذه الحركة العظمى لخرجنا عن حدود هذا الكتاب ، فانهم قد رقوا العلوم القديمة ترقية كبيرة جداً ، وأوجدوا علوما أخرى لم تكن موجودة من قبلهم . ثم قال : إن أوربا فى ذلك العهد كانت غاصة بالغابات الكثيفة من إهمال الناس للزراعة ، وكانت المستنقعات قد كثرت حوالى المدائن ، فكانت تنتشر منها روائح قتالة اجتاحت الناس وأكلتهم ، ولا مغيث لهم ، وكانت البيوت فى (باريز) و (لندن) تبنى من الخشب والطين المعجون بالقش والقصب ، ولم يكن فيها نوافذ ولا أرضيات خشبية ، أما الأبسطة فكانت مجهولة لديهم ، وكان يقوم مقامها القش ينشرونه على الأرض نشراً . ولم يكونوا يعرفون المداخن فكان الدخان يطوف البيت ثم يتسرب من ثقب صنعوه له فى السقف ، فكان الناس فى هذه البيوت

معرضين لـكل أنواع الإصابات الخطيرة . وكان الناس لايعرفون معنى النظافه فيلقون بأحشاء الحيوانات وأقذار المطابخ أمام بيوتهم أكواما ، تتصاعد منها روائح قاتلة ، ولارقيب ولاحسيب. وكانت الأسرة الواحدة تنام فى حجرة واحدة من رجال و نساء وأطفال ، وكثيراً ما كانوا يثوون معهم الحيوانات المنزلية ، وكان السرير عندهم عبارة عن كيس من القش فوقة كيس من الصوف كمخدة . وكانت النظافة معدومة لديهم لا يعرفون لها رسماً ، وكان الغنىّ منهم لا يأكل اللحم إلا كل أسبوع مرة ، ولم يكن للشوارع مجار ولا بلاط ولا مصابيح . هذه الجهالة كان من أثرها على أوربا أن عمتها الخرافات والاوهام ، فانحصر التداوى فى زيارة الأماكن المقدسة ، ومات الطب وأحييت أحابيل الدجالين . وقد كان إذا دهم البلاد وباء فزع رجال الدين الى الصلاة ولم يلتفتوا لأمر النظافة ، فكانت تفتك بهم الأوباء فتكا ذريعاً ، حتى إنها زارت أوربا عدة مرات فاجتاحت الملايين من أهلها فى أيام معدودة ، وقد كان الموت فى أوروبا فى هذه العصور بنسبة واحد الى ثلاثة وعشرين فصار اليوم واحدا الى أربعين . ثم قال : لم تكن أوروبا العصرية بأعلى ذوقاً ولا أرقى مدنية ولا ألطف رونقاً من عواصم الأندلس على عهد العرب

ثم أخذ الاستاذ (درابر) يصف مدنية العرب بالاندلس من عموم

نواحيها بصفات لانظير لها فى أوروبا اليوم . وكل ماذكرته من قوله المتقدم هو صورة مصغرة عن حالة أوروبا فى همجيتها التى كانت عليها فى العصور التى كان الاسلام فيها سيد العالم والأمم . وقد أسهب غيره من الأوربيين والأمريكان فى مدنية الاسلام وحضارته وعمرانه ، فتركت نقله خشية الإطالة ، لأن ذلك معلوم عند كل باحث ومزاول لقراءة التاريخ ، ولا يجهله إلا كل غبي أحمق

وقال الاستاذ (درابر) أيضا عن المكاتب العمومية بالأندلس : ولقد دأبوا على جمع الكتب بصفة منتظمة لاجل أن يكوّنوا المكاتب التى تكلمت عنها . وقد اشتملت مكتبة خلفاء الأندلس على ستمائة ألف مجلد ، وكانت قائمة أسمائها وحدها واقعة فى أربعة واربعين مجلداً ، وغير هذا فقد كان بالأندلس سبعون مكتبة عامة ، وكثير من المكاتب الخاصة . وأما المؤلفات الحديثة فقد كان من عادة أساتذة الجامعة أن يؤلفوا كتباً فى الفروع العلمية التى تطلب منهم ، وكان لكل خليفة مؤرخ خاص يكتب تاريخه . ولقد كتبوا فى كل فن ، وفى كل علم ، كالتاريخ والتشريع والسياسة والفلسفة والتراجم حتى تراجم الخيول والابل . وكل هذه المؤلفات كانت بدون رقابة ولاحجر . وقد كانت الكتب زاخرة بالمعلومات التى تصلح لان تتخذ مادة كثيرة جداً فى الجغرافيا

والاحصاءات والطب والتاريخ وقواميس اللغة . وكان لديهم دائرة معارف علمية ألفها محمد بن عبد الله . وكان للعرب ذوق دقيق فى صنع الورق النظيف الناصع البياض . وفى إعطاء المداد الالوان المختلفة . وفى زخرفة وجوه الكتب بتشبيك تلك الالوان المختلفة من المداد والابداع فى تنميقها وتذهيبها على صور شتى . وكان الملك الاسلامى العربى يغص بالمدارس والمكتبات . وكانت بلاد المغول والتتار ومراكش والاندلس حاصلة على عدد عديد منها . وكان فى طرف من أطراف هذه المملكة الواسعة التى فاقت الممالكة الرومانية كثيراً (مرصد) فى سمرقند لرصد الكواكب ، وكان يقابله فى الطرف الآخر (مرصد) جيرالد فى الاندلس

ثم قال الأستاذ (درابر) : ولو أردنا أن نستقصى كل نتائج هذه الحركة العلمية العظمى لخرجنا عن حدود هذا الكتاب . فانهم قد رقوا العلوم القديمة ترقية كبيرة جداً ، وأوجدوا علوما جديدة لم تكن معروفة قبلهم . والفلكيون من العرب قد اهتموا ايضاً بتحسين آلات الارصاد وتهذيبها ، وبحساب الازمنة بالساعات المختلفة الاشكال ، والساعات المائية ، والسطوح المدرجة الشمسية ، وهم أول من استعمل البندول (الرقاص) لهذا الغرض . أما فى العلوم (التجريبية) فقد اكتشفوا الكيمياء وبعضاً من محللاتها الشهيرة (بحمض الكبريتيك) و (حمض النتريك) و (الكحول) وقد استخدم العرب علم الكيمياء فى

الطب لانهم أول من نشر علم تحضير العلاجات و (الاقرباذينات) واستخراج الجواهر المعدنية . أما فى علم (الميكانيكا) فانهم عرفوا وحددوا قوانين سقوط الأجسام ، وكانوا عارفين كل المعرفة بعلم الحركة . أما فى (الايدروستاتيك) فقد كانوا أول من عمل الجداول المبينة لضروب الأوزان النوعية ، وكتبوا أبحاثا فى الأجسام السابحة والغائصة تحت الماء . أما فى نظريات (الضوء والإبصار) فقد غيروا الرأى اليونانى الذى مقتضاه أن الإبصار يحصل بوصول شعاع من البصر الى الجسم المرئى ، وقالوا بعكس ذلك أى إن الإبصار يحصل بوصول شعاع من المرئى الى العين . وكانوا يعرفون نظريات انعكاس الاشعة وانكسارها ، وقدا كتشف الحسن الشكل المنحنى الذى يأخذه الشعاع فى سيره فى الجو ، وأثبت بذلك أننا نرى القمر والشمس قبل أن يظهرا حقيقة فى الافق ، وكذلك نراهما فى الغروب بعد أن يغيبا بقليل . إن نتائج هذه الحركة العلمية تظهر جليا بالتقدم الباهر الذى نالته الصنائع فى عصرهم ، فقد استفادت منها فنون الزراعة فى أساليب الرى والتسميد ، وتربية الحيوانات ، وسن النظامات الزراعية الحكيمة ، وإدخال زراعة الأرز والسكر والبن . وقد انتشرت المعامل والصنائع لكل نوع من أنواع المنسوجات كالصوف والحرير والقطن ، وكانوا يذيبون المعادن ويجرون فى عملها على ماحسنوه وهذبوه من صنعها وسبكها . واننا

لندهش حين نرى فى مؤلفاتهم من الآراء العلمية ما كنا نظنه من نتائج العلم فى هذا العصر ، من ذلك أن مذهب النشوء والارتقاء للكائنات العضوية الذى يعتبر مذهبا حديثاً كان يدرس فى مدارسهم ، وقد كانوا ذهبوا منه الى مدى أبعد مما وصلنا اليه ، وذلك بتطبيقه على الجامدات والمعادن أيضا . اه

هذا بعض ما حدث به أستاذ كلية نيويورك بأمريكا (درابر) عن مدنية الاسلام ، وحضارة الاسلام ، وفنون الاسلام ، ومخترعات الاسلام ، وفلسفة الاسلام ، ومصنوعات الاسلام ، وأن المسلمين هم أول من وضع الرصد للافلاك ، واخترعوا الكمياء ، وأن العرب هم الذين أسسوا فى مدن أوربا الحضارة والصناعة ، وكل دواعى المدنية والعمران ، وأن أول مدرسة أنشئت فى أوربا للطب هى التى أسسها العرب ، وأول مرصد أقيم فى أوربا أيضا أقامه العرب . وكان حديثه منحصراً فى الحضارة الاسلامية من الوجهة الفنية ، والظاهر أن بحثه كان على حسب ذوقه حيث انه لم ينظر الى الاسلام من الوجهة الدينية ، كما نظر اليها الكونت هنرى دى كسترى والاستاذ كارليل وغيرهما ، وإنما أراد أن يظهر للعالم الغربى أن مدنية العرب التى وصفها جاءتهم عن طريق دينهم الاسلامى وإرشاده لهم بالتفكر والعمل فى عموم مواد الحياة الاجتماعية والعمرانية ، مع أن كثيراً من المسلمين يجهلون تلك الحضارة العظيمة والمدنية الضخمة

التى أصبحت محل إعجاب الاستاذ (درابر) وغيره. ومن المؤسف أن كثيراً ممن ينتسب الى الاسلام يظن أن كل شىء وجد فى الدنيا كان من نتائج أعمال الغرب وحضارة أهله، مع أن الحقيقة غير ذلك، وإنما بسبب تقاعد المسلمين عن واجبهم الاجتماعى والعمرانى فى العصر الحاضر جهل أمثال هؤلاء الجهلاء بتاريخ الاسلام، وعمران الاسلام ومخترعات أبطال الاسلام، يظنون أن كل حضارة وعمران هو من مبتكرات الغرب، وهذا الذى دعانى الى الاستشهاد بأقوال علماء الغرب وفى مقدمتهم الاستاذ (درابر) حيث انه قد تتبع فى أبحاثه تاريخ الامم الشرقية، وبالاخص ما كان من الأمة العربية التى كانت قبل اعتناقها الدين الاسلامى أقل عمرانا وتمدنا من فارس والروم واليونان، ثم لما اعتنقت الاسلام وسارت على تعاليمه أصبحت بعد برهة من الزمن أرقى الأمم المعاصرة لها، ثم تقدمت تقدما مدهشا حتى صارت هى المؤسسة لمعظم الفنون التى وصلت الينا فى العصر الحاضر عن طريق الغرب؛ وكل ذلك كان بارشادات الدين الاسلامى لذى كان يحثهم على السير فى الأرض، والعمل بكل ما فيه خيرا الدنيا والآخرة. وذلك فائض فى القرآن المجيد فى كثير من آياته كقوله تعالى ﴿قل سيروا فى الأرض﴾ وقوله تعالى ﴿وفى أنفسكم أفلا تبصرون﴾ وهذه الآية تشير الى مايعبر عنه فى العصر الحاضر (بعلم النفس) وقوله تعالى ﴿أولم ينظروا فى ملكوت السماوات

والأرض ﴾ وقوله تعالى ﴿ وهو الذى جعل الشمس ضياءاً والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ﴾ وهذه الآية تشير الى علم الفلك وغير ذلك من الآيات البينات المحرضة على العمل

فهل والحالة هذه يعتبر الدين الاسلامى عقبة كؤوداً فى سبيل تقدم العالم الاسلامى فى العلوم والمعارف كما يزعم أعداء الاسلام ؟ فلا وربك لم يكن الاسلام عقبة فى سبيل تقدم المسلمين فى العصر الحاضر ، وإنما المسلمون هم العقبة على أنفسهم ، وهم الذين تقاعدوا فى العصر الحاضر عن دراسة مافيه صلاحهم الدنيوى والأخروى ، فتكاسلهم وتقاعدهم عن القيام بالواجب الدينى هو الذى جعلهم مستعبدين للغرب وأذلاء فى أوطانهم ، وجهلاء بعصيرهم . فلا حول ولاقوة الا بالله

نظرية الاستاذ سنكس

جاء فى كتاب (الاسلام فى عصر العلم) بصحيفة ٣٦٨ ان الاستاذ (سنكس) كتب فى مجلته الروحية مقالا عنوانه (محمد) ﷺ وهو : ظهر محمد بعد المسيح بخمسمائة وسبعين سنة ، وكانت وظيفته ترقية عقول البشر باشرابها الأصول الأولية للأخلاق الفاضلة ، وبارجاعها الى الاعتقاد بإله واحد ، وبحياة بعد هذه الحياة — ثم قال — : إن الديانة الاسلامية أحدثت رقياً كبيراً جداً فى الفكرة الدينية فى العالم ، وخلصت العقل

الانساني من قيوده الثقيلة التى كانت تأسره حول الهيا كل بين يدى الكهان ذوى الصبغ الدينية المختلفة ، نعم ارتقى العقل بواسطة الاسلام للاعتقاد بحياة أخروية ، وهذه العقيدة هى الوازع الأقوى فى محاولات الانسان المادية ، والى الاخبات لاله واحد يستطيع أن يعبده بنفسه بدون مداخلة أحد بينه وبينه ، وأن يرتقى فى مصاعد كرامته الى مجال أنواره بدون وسطاء ولا شفاعة الشافعين من بنى جنسه ، ولقد توصل محمد بمحوه كل صورة فى المعابد ، وإبطاله كل تمثيل لذات الخالق المطلق ، والى تخليص الفكر الانسانى من عقيدة التجسيد الغليظة التى كانت من لوازم الفكر البشرى فى القرون الخالية ، وأجبر النوع الإنسانى بتأثير هذه التعاليم لأن يرجع الى نفسه ويبحث عن الله تعالى خالقه فى أعماق روحه وصميم سره ، ليستطيع أن يرتفع بهذه العقيدة النقية اليه تعالى بواسطة العبادة القلبية المملوءة احتراما وشكراً ومحبة . ولقد قصر الناس فى الالتفات الى ذلك الرقى الأدبى الباهر الذى تم بواسطة الديانة الاسلامية ، وحصل هذا الرقى بعيداً عنا لدى شعوب يسهل علينا وصفهم ظلماً بالمتوحشين بمجرد كونهم لا يخضعون لأفكارنا ، ولا يقولون بعقائدنا ، ولأنهم أحط منا فى العلم والفكر ؛ ولكن مع كل هذا يجب علينا أن نعترف بأن هذه الحركة الدينية قد رقت ولم تزل ترقى الى اليوم عقول أمم شتى من هذه المعمورة . أما الاسلام فى ذاته فهو فى نظرنا اليوم على شرط تخليصه من

كل التعاليم التى ألصقتها به الشعوب الطفلة ، ومن كل الشروح الباطلة التى شرحت بها أقوال النبى (محمد ﷺ) أكبر وأعظم ما يدركه الانسان . من معنى الدين وتعاليمه فى العلاقات التى يجب أن تكون بين الانسان وخالقه ، هى أكثر التعاليم انطباقا على نواميس الطبيعة وقوانين العقل الانسانى

هذا ماقاله الاستاذ (سنكس) عن الدين الاسلامى وكونه هو الذى رقى عقول البشر وانتشلها من القيود الثقيلة التى كانت ماسورة بها حول الهياكل ، ومن قوله المتقدم يعلم أنه قد رجح العقائد الاسلامية التى هى عقيدة السلف الصالح ، وبعبارة أوضح العقيدة التى كان عليها النبى ﷺ وأصحابه من بعده قبل أن تدخلها بعض آراء المعتزلة والمشبهة وأهل البدع والخرافات ، حيث هى العقيدة التى خلصت البشر من الواسطة أو الوسطاء بين المخلوق والخالق ، وبها قد خلص النبى ﷺ الفكر الانسانى من عقيدة التجسيد الغليظة . وقد جاء ذلك صريحاً فى القرآن المجيد فى قوله تعالى ﴿ واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداعى إذا دعان ﴾ وقوله تعالى ﴿ إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم ﴾ وغير ذلك من الآيات الدالة على بطلان الواسطة بين العبد وربه . ومن المؤسف المبكى أن هذا المستشرق عرف ذلك ، ورجح العقائد الاسلامية الصحيحة على العقائد المسيحية مع انه مسيحى المذهب ، وان كثيراً ممن ينتسب الى

الاسلام يجهلها ويعتقد خلافها . ويظهر مما تقدم أن الاستاذ (سنكس) استنتج مقاله هذا من مذهب استحضار الارواح بعد أن طالع بعض كتب العقائد الاسلامية ، ودرس شيئاً عن البعث والنشور ، والحياة البرزخية والحياة الأخروية الأبدية . وهذا العلم الذى هو استحضار الأرواح قد غير كثيراً من عقائد الماديين والطبيعيين فى أوروبا وأمريكا ، وجعلهم يفكرون فى خالق الأرواح ، والروح نفسها ، وكيف بقاؤها فى عالم الوجود ، مع أنهم الى الآن لم يستطيعوا أن يصلوا الى كشف حقيقة الروح كشفاً فنيا . ولما أعيتهم الحيلة وأصبحوا مكتوفى الأيدى أمام سر الروح بعد أن استعملوا عموم الطرق المادية وفحصوا نظريات علمائهم فى سر الروح ، حيث كلما بنوا بحثهم على نظرية من تلك النظريات ظهر لهم فسادها ، أخذوا يدرسون سر الروح فى الكتب المقدسة ، ولم يجدوا بغيتهم الا فى القرآن المجيد الذى هو كتاب الله المنزل على نبيه العربى محمد ﷺ فى قوله تعالى ﴿ ويسألونك عن الروح ، قل الروح من أمر ربى ﴾ فعلموا أن الوصول الى معرفة حقيقة الروح أمر مستحيل على البشر . فهذا الذى جعل المفكرين منهم يعتقدون بوحدانية الله تعالى وأنه الخالق والموجد لهذ العالم الكبير ، وأن المادة والطبيعة هما من مخلوقات الله تعالى . وكذلك توصلوا بعد البحث فيما جاء به القرآن المجيد أن هناك أشياء لم يصل العلم الحديث الى حلها ، مثل الملائكة والجن والشياطين وغير ذلك

من المخلوقات التي لا تدركها الحواس الخمس ، ولا يمكن الوقوف على كنهها إلا عن طريق الوحى . وهذا ليس له طريق غير طريق الدين الاسلامى وما حدث به نبي الاسلام ، لانه هو الدين الوحيد الذى فيه صفة الله سبحانه وتعالى بما وصف به نفسه من غير تكييف ولا تأويل ، وهو الذى حدثنا عن بقاء الارواح وعدم فنائها ، وأنها بعد مفارقة الاجساد تكون على حالتين إما نعيم مقيم أو عذاب مخلد ، وذلك بقوله تعالى ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾ والمراد هنا بالحياة هى حياة الروح البرزخية ، كما قال ﷺ عن أرواح الشهداء إنها فى حواصل طيور خضر ترتع فى الجنة

نظرية جول لا بوم

جاء فى كتاب (الاسلام دين عام خالد) بصحيفة (٩٥) عن الموسيو (جول لابوم) أنه قال : لأجل أن يفهم الانسان تمام الفهم أى دعوة من الدعوات يلزمه أولا الإلمام بحال الداعى فى ذاته ، ولاجل أن يقدر قدر دعوته يجب عليه أن يدرس الجهة البشرية التى وجه همته للتأثير فيها . هذا هو الغرض من النبذة الوجيزة التى خصصنا بها المشرع العربى — يريد النبى ﷺ — مؤسس مايمكن تسميته (بالجامعة الاسلامية) . حوالى ميلاد محمد فى القرن السادس الميلادى كان جو العالم ملبداً بغيوم

الاضطرابات والفتن ، فكان شعب (الويزيغوت) الآريين فى إسبانيا وفرنسا الجنوبية يصاولون الملك (كلوفيس) وأولاده الكاثوليكيين ، فكانوا من أجل ذلك يطلبون مساعدة إمبراطور مملكة الرومان الشرقية (جوستنيان) ، ثم أجبروا على الدخول معه فى حرب جديدة ، تخلصاً من سلطة القواد الذين جاءوهم بتلك المساعدة ، فقد كانوا يزعمون أن لهم حق الفاتحين ، لامجرد ولاء المساعدين المنجدين . أما فى فرنسا نفسها فكان أولاد كلوفيس هذا متغادرين متسافكين ، وكانت الحروب التى شبت بين المملكة الويزيغوتية (برنهو) والمملكة الفرنكية (فريد يجونه) تهيئ للتاريخ أشد الصحائف إثارة للأسى والكمد . أما فى (إنجلتره) فكان الانجلو ينازعون الساكسونيين الأرض التى احتلوها واستعبدوا فيها ذرية (كيمبريس) ، وهم أقدم المغيرين على تلك الجزيرة التى تتطلع اليوم للوقوف فى مقدمة الامم علماً وصناعة وقوة ، وهى التى كانت فى ذلك الحين مجالا للقوة والوحشية السائدة فى تلك الغياهب الحالكة . أما فى (ايطاليا) فكان اسم (الرومان) وهو ذلك الاسم الشامخ ، قد فقد القيمة القديمة ، وكانت رومية وهى الشظية الاخيرة أو رأس ذلك التمثال الكبير المتهشم (يعنى مملكة الرومان) فى حالة تملها من استحالة أمرها الى مركز دينى بسيط ترتج وتضطرب كلما ألم بها طائف من ذكر عظمتها القديمة أيام كانت مركزاً دينياً أصلياً ،

فكانت تهيء نفسها لان تكون مركز البابوية ، وهى تلك السلطة الزمنية كما اقتضت سياسة (سالمانى) أن يجعلها كذلك بعد قرنين من الزمان . أما المملكة (اليونانية) فكانت قد نسيت مجدها القديم فصارت نابعة لمملكة الرمانيين الشرقية ، مثلها منها كمثل الزينة ذات الضوضاء . وكان شرق أوربا مقلقاً جنوبها من أول مصابّ نهر الرين من جهة الشرق

واخذ المسيو (جول لابوم) يصف الاضطرابات ، والاختلالات السياسية والادارية والاجتماعية فى أوربا وآسيا وإفريقية وفى جزيرة العرب بحالة وحشية فظيعة الى أن قال : فىعهد هذه الاحوال الحالكة ، وفى وسط هـذا الجيل الشديد الوطأة ، ولد محمد بن عبد الله فى ٢٩ أغسطس سنة ٥٧٠ ميلادية . ا ﻫ

هذا ماقاله الموسيو (جول لابوم) عن الاضطرابات والقلاقل التى كانت مستحوزة على العالم أجمع فى ذلك العهد . وفى نهاية حديثه قال ولد محمـد بن عبد الله ﷺ ، ولم يذكر شيئاً عن نبى الاسلام ، ولا دين الاسلام ، ولا كتاب الاسلام الذى هوالقرآن ، ولا عن حضارة الاسلام، ولا مدنية الاسلام ، ولا عن العمران الذى قام به الاسلام فى القارات الثلاث . وربما هنا يعجب القارىء من نقلنا لحديث الموسيو (جول لابوم) الخالى عن وصف الاسلام بشىء مما وصفه به غيره من المستشرقين الذين

قد نقلنا شيئاً من نظر بأنهم فى الاسلام بهذا الكتاب . فالذى دعانى الى نقل حديثه ماظهر لى أنه قصد من ذكره لتلك الاضطرابات والاختلالات أن يظهر لاهل العصر الحاضر الذين يجهلون حالة العالم والممالك التى كانت فى ذلك العصر الذى وجد فيه نبينا محمد ﷺ من الاختلال ، وأن وجود النبي العربى محمد ﷺ فى ذلك الحال كان من لطف الله تعالى على ذلك العالم المضطرب الذى قد اعتورته الفوضى من جميع أنحائه ، فأرسله الله تعالى رحمة للعالمين ليصلح ذلك الفساد ، ويزيل الفوضى من وجه الارض ، ويقودهم بنظام رب العزة جل وعلا ، ليخرجهم من الظلمات الى النور . وهذا مما يثبت قولنا إن النبي محمداً ﷺ هو الذى جاء بنظام العالم والامم ، وبالمدنية الراقية النقية من كل خلاعة ، ودعارة ، وفوضى ، وتعسف ، وغطرسة ، فى الوقت الذى كانت حاجة العالم الى ذلك النبي الكريم شديدة لينقذهم من جحيم الفوضى حيث لا نظم عادلة ، ولا تشريع يؤثر ، فكان الأمر كما ذكرنا والحال كما وصفنا ، ولم ينكر ذلك إلا من أعمى الله بصره وبصيرته

نظرية الاستاذ جبون

جاء فى كتاب (الاسلام دين عام خالد) بصحيفة (١٨٥) نقلاعن الاستاذ (جبون) المؤرخ لانكليزى المشهور عند ذكره الحماية والرعاية التى بذلها المسلمون للعلوم أنه قال : كان من أثر تنشيط الأمراء المسلمين للعلم أن

انتشر الذوق العلمى فى المسافة الشاسعة التى بين سمرقند وبخارى ، الى فاس وقرطبة ؛ ويروى عن وزير لاحد السلاطين المسلمين أنه تبرع بمائة ألف دينار لتأسيس كلية علمية فى بغداد ، ووقف عليها خمسة عشر ألف دينار سنويا ، وكان عدد طلبتها ستة آلاف ، لافرق فيهم بين غنى وفقير

هذا ماقاله الاستاذ (جبون) عن تقدم العلم و التعليم فى حالة يقظة المسلمين فى العصور المتقدمة ، وذلك كان عن سخاء الأسخياء ممن كان ذا مال وجاه . وقد حدثنا التاريخ بأعظم مما ذكره الاستاذ (جبون) عندما كان المسلمون يجودون بسخاء على المشروعات العلمية ، ومن المؤسف المبكى أن الامر صار فى العصر الحاضر على عكس ما كان فى تلك العصور المنيرة بأهلها ، والمستنيرة بأبطالها ، وأصبح ذلك العمل المجيد حكاية يتلذذ المسلم من سماعها ، ولا نرى من أغنياء المسلمين فى العصر الحاضر من تأخذه الاريحية بنشر العلم والمعارف فى الاقطار الاسلامية ، اللهم إلا بنسبة واحد فى المليون من المسلمين ، وهذ ناتج عن تأخر المسلمين فى عموم حالاتهم الدينية والدنيوية والأخروية ، ولو أن كل فرد من أغنياء الاسلام فى العصر الحاضر فكر فى نشر العلم وجاد فى سبيل ذلك بنسبة واحد من مائه من أصل ثروته ، لانتشر العلم ، وعم القاصى والدانى ، وزل الجهل ، وأصبح كل فرد من أفراد المسلمين خصوصاً ممن استفاد من ذلك العلم إما لنفسه أو لابنه ، لسان شكر وثناء ؛ وتخلد ذكر ذلك المحسن طيلة بقاء

الدنيا ؛ وله فى الآخرة الجزاء الاوفر ؛ كما قال تعالى فى سورة (الليل) ﴿ فأمامن أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى ﴾ ، وأما الذين يضنون بالمال الفائض عن لوازمهم الضرورية فقد قال تعالى فى حقهم ﴿ وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى وما يغنى عنه ماله اذا تردى ﴾

نظرية نابليون

وجاء فى كتاب (لماذا تأخرالمسلمون) للأميرشكيب أرسلان بصحيفة (٨٢) : وكان نابليون الأول لشدة دهشته من تاريخ الاسلام يقول فى جزيرة سنتيهلانة « ان العرب فتحوا الدنيا فى نصف قرن لا غير » اه

فهذه شهادة من امبراطور فرنسا ، بل امبراطور نصف أوربا ، والقائد العظيم الذى لم تعرف أوروبا قائداً قبله كان أعظم منه ، مع أن الجيوش التى فتح بها العرب الدنيا فى نصف قرن لم تبلغ عشر معشار تلك الجيوش التى قادها نابليون بنابرت فى تدويخ أوروبا . وذلك لأن أسباب النصر لم تكن منحصرة فى كثرة الجيش أو قلته ، بل إن السبب الوحيد الذى جعل العرب تفتح الدنيا فى نصف قرن هو أن الجيوش الاسلامية التى كانت فى جانب القلة بالنسبة للأعداء ، إنما كانت تتفوق على خصومها لكونها كانت تقاتل لتكون كلمة الله هى العليا ، ولم يكن ذلك الفتح المبين هو بأسنة الرماح أو بحد الصارم البتار ، بل بنشر العدل

والحرية والمساواة بين طبقات البشر ، ثم بنشر العلم والأمن والسكينة ، ومنع الغطرسة والتعدى من القوى على الضعيف ، فى كل بلدة أو إقليم دخله الجيش الاسلامى ، ولذلك كانت الامم تستقبله بصدر منشرح وقلب مطمئن . وأما نابليون فكان يقاتل لاجل السيطرة على العالم والتغلب على الممالك ، ولدلك نجح العرب ، ولم ينجح نابليون ، لأن العبرة بالمقاصد

نظرية غليوم الثانى

نقلت جريدة (الفتح) الغراء فى عددها (٤٣٥) عن جريدة المقطم أن مسيو موريس باليولوغ سفير فرنسا الاسبق فى روسيا وعضو الاكاديمية الفرنسية الآن نشر وثيقة تاريخية فى كتاب له عنوانه (غليوم الثانى ، ونقولا الثانى) وهى تتضمن كتابا بعث به غليوم الثانى إمبراطور المانيا بتاريخ ٩ نوفمبر سنة ١٨٩٨ م الى قريبه نقولا الثانى قيصر الروس يصف له فيه شعوره نحو النصرانية والاسلام عند زيارته بيت المقدس فى ذلك الشهر من تلك السنة ، وهذا نص الوثيقة التاريخية :

« ان القدس هى التى استوقفت نظرى طبعاً بوجه خاص لما فيها من اماكن كثيرة مقرونة بذكرى مخلصنا (أى السيد المسيح) ومجرد الفكر أن نظره وقع على هذه الآكام ، وأن قدمه وطئت هذه الأرض ، يحرك

أوتار القلب ويبعثه على الخفقان بقوة أعظم . ولكننى مضطر إلى الاعتراف باخلاص بأن جميع الأشياء التى رأيتها هنا ولها صلة بالايمان المسيحى لا تساعد مطلقاً على توليد ذلك الشعور . فقد تعددت هنا طوائف ديننا المسيحى ، وتعددت الكنائس والأديرة التى بنتها ، فنشأت عن ذلك منافسة معيبة ، بل نشأ عن ذلك نضال الغرض منه التزاحم على بناء أعلى النواقيس وأجمل الكنائس ، فجاءت غير ملائمة للجهات التى بنيت عليها حتى أنه يخيل المرء أنه فى معرض من الكنائس . ولقد أثر ذلك التنافس فى كهنة الكنائس المختلفة ، وبجد القسوس لذة فى الدس ، وفى تنظيم المؤامرات السياسية ، وهم يثيرون الاحقاد بدلا من أن يبثوا الحب ، ويسببون مشاجرات ومنازعات فى الكنائس تحل محل التراتيل الدينية والوئام الذى يجب أن يسود الجميع . وأمرّ من ذلك أنهم ابتكروا عبادة الأحجار والأشجار ، مع أن ذلك محظور فى الوصية الثانية من الوصايا العشر ، حتى يمكن القول إن هذا الضرب من العبادة حل محل العبادة الإلهية . وقد قال لى رجل فرنسى : إننا فى هذه الأماكن التى يقال عنها مقدسة نعبد الحجارة ، مع أنه من المتعذر إقامة الدليل على قدسيتها ، أما العبادة الإلهية فلا مكان لها هنا . وهذه الاقوال تطابق الحقيقة كل المطابقة ، ولو أنها مؤلمة جداً لعواطفنا المسيحية . ولما غادرت الأماكن المقدسة كنت أشعر بخجل عظيم من المسلمين ، وكنت أقول لنفسى فى

قرارة نفسي : لو لم يكن لى دين عند وصولى من القدس لـكنت قد اعتنقت حتما الدين الاسلامى . اه

هـذا ما قاله امبراطور المانيا السابق غليوم الثانى عن الاسلام والنصرانية فى خطابه لقيصر الروس السابق نقولا الثانى الذى كان يسمى نفسه ناصر الدين المسيحى والأمة المسيحية ، وحامى الصليب ، وكان ذلك الخطاب قبل سبع وثلاثين سنة حين زار غليوم القدس الشريف وهو على عرش ألمانيا وبيده مقدرات قسم عظيم من أوروبا وتهتز لذكره كثير من الأمم ، فكان فى خطابه هـذا لقيصر الروس صراحة تامة عن حالة المذهب المسيحى من كونه أصبح عند القساوسة عبارة عن تنافس وتغالب فيما بينهم ، وتعال ببناء الـكنائس ، حتى خرج عن كونه دين عبادة وتقوى واصلاح وهدى وغير ذلك ، حتى سماهم ذلك العاهل الـكبير بعبدة الاحجار والأشجار ، وصرح بتفضيل الدين الاسلامى على الدين المسيحى ، مع أنه رأى الدين المسيحى فى حالة تأخر المسلمين وتفككهم ، وانحلال رابطتهم الدينية والاجتماعية ، ودخول البدع والخرافات فيهم ؛ ومحاربة الملاحدة والمبشرين لرجال الاصلاح منهم . فكيف لو رأى غليوم الاسلام فى عصر الخلفاء الراشدين وفى عصر الخلفاء الأمويين ، وصدر الخلافة العباسية ، حينما كان الاسلام سيد العالم أجمع ، فماذا كان يقول ؟ وما تكون درجة موقفه ؟ وكيف يكون

إعجابه به ؟ ما أظنه يتردد لحظة فى اعتناقه رغما عن كونه يدين بالمذهب المسيحى أو بغيره ، ورغما عن مركزه العظيم عند رجال الدين المسيحى والأمة المسيحية

نظر نابليون الى الاسلام من الوجهة الحربية فقال : إن العرب فتحوا الدنيا فى نصف قرن ، ونظر غليوم الى الاسلام من الوجهة الدينية فقال : لو لم يكن لى دين لكنت قد اعتنقت حتما الدين الاسلامى . فهذه شهادة عاهلين عظيمين من أعظم ملوك أوروبا للدين الاسلامى من الوجهة الدينية والحربية ، وهما كلمتان وجيزتان من ملكين عظيمين تشملان معانى كثيرة لو أردت أن أشرحهما وأبين معانيهما لحبرت عدة صفحات وكما قيل فى المثل « كلام الملوك ملوك الكلام » . فتركت للقارىء أن يستنبط منهما ما شاء من المعانى بحسب ذوقه وسعة مداركه

نظرية فولتير

جاء فى كتاب لماذا تأخر المسلمون بصحيفة (٩٠) عن (فولتير) أنه قال عندما ذكر لديه (لوثير) و (كلفين) : كلاهما لا يصلح أن يكون حذاء لمحمد . يريد بقوله هذا أن محمدا ﷺ قد بلغ من الاصلاح مالم يبلغا أدناه ، مع اعتقاد الكثيرين منهم أن مذهبهما كان فجر أنوار أوروبا . يعنى أنهما كانا من أعظم رجال الاصلاح فى أوروبا ، ومع ذلك لم يصلحا أن يكونا حذاء للنبى محمد ﷺ فى نظر (فولتير) ، مع أنه من أقطاب

ملاحدة الغرب

نظرية موسهليم

وجاء فى كتاب (غرائب الغرب) للأستاذ كرد على بالجزء الثانى بصحيفة (١٣٩) عن (موسهليم) الجرمانى أنه قال : حق علينا أن نقول : إن العرب ولا سيما عرب إسبانيا هم أصل ينبوع كل معرفة فى الطب والفلسفة والفلك والتعاليم التى بزغت فى أوروبا منذ القرن العاشر فصاعدا

نظرية الدكتور روزيه

وذكر فى صحيفة (١٤٢) انه قال له الدكتور (روزيه) رئيس جامعة لوزان فى سويسرا سابقا : إننى طفت بلاد الاندلس ورأيت آثارها الباقية من عهد العرب ، فاعجبت بها كل الاعجاب ، ومما شاهدته السدود القائمة الى اليوم فى ولاية بالنسية ، فان أهل هـذه الولاية من الاسبان اليوم يعيشون بفضل هندسة مهندسى العرب لهذه السدود ، ولم يتيسر لمدنية القرن العشرين أن تقيم أرقى مما أنشأه أبناء جنسكم فى القرون الوسطى . ولحسن الحظ لم يقو التعصب الدينى الذى دك كثيراً من المعالم فى أرض أندلس على نسف هذه السدود على وادى الأحمر وغيرها ، وإلا لهلك أهل ذاك الاقليم عطشاً . ومن الاسف أن مدنية هذه بعض آثارها تذهب ولا من يبكيها ، فقبح من قضوا عليها ، وأوصلكم الى ما أنتم

عليه من الانحطاط

فهذا العالم السويسرى رئيس جامعة لوزان يأسف على ذهاب حضارة العرب ويقول بكل صراحة : ولم يتيسر لمدنية القرن العشرين أن تقيم أرقى منها . ويقول أذناب الإلحاد والتبشير : لو وجد محمد ﷺ فى هذا العصر الذى هو عصر العلم والمدنية ماذا كان يصنع ؟ فاذا كان رئيس جامعة لوزان يعجب من صنع بعض المسلمين فى القرون الوسطى ، فما بالك لو أن محمداً ﷺ كان موجوداً فى هذا العصر ، اذاً لصنع مما أرشد به القرآن الذى أهمله المسلمون ، ولأصبح المسلمون بارشاده سادة العالم أجمع كما كانوا فى القرن الأول بعد وفاته ﷺ ، ولأراح أهل الأرض من وقاحة أمثال هؤلاء الذين ملؤا الجو عواءاً بدون جدوى لان جهلهم وغطرستهم قد علمها حتى بسطاء المسلمين ، وأصبحوا منبوذين من الانسانية وملعونين أين ماثقفوا

نظرية مستر كنورتى

وجاء فى كتاب (الحديقة) جزء (١١) صحيفة (٦٧) عن مستر (كنورتى) الكاتب البريطانى الشهير أنه قال فى مقالة نشرها فى جريدة (هيرالد تريبون) التى تطبع فى نيويورك بامريكا تحت عنوان (ضغط العالم المسيحى ستة قرون على روح الحرية الاسلامية) : عندما حكم الخلفاء بغداد أدارو ... ــرهم بروح الحرية ، فارتفعت العلوم ،

أيامهم ، وازدهرت الحكمة ، حتى أخذ الغرب علومهم عنهم ودرسها فى جامعاته ، وقد بقيت هذه الروح بعد سقوط بغداد ستة عصور كاملة تئن من ضغط العالم المسيحى المستمر عليها

نظرية هنرى لاوس

وجاء فيها أيضاً تحت عنوان (الثقافة الاسلامية) بقلم المستشرق الفرنسى (الموسيو هنرى لاوس) بصحيفة (١٧٠) أنه قال : أمكن لفريق من المستشرقين أن يقولوا بوجود ثقافة اسلامية عامة ، ابتدأت فى التاريخ بالدعوة الاسلامية الاولى على عهد النبوة ، ثم تكونت فى زمن الخلفاء الراشدين ، والدولة الأموية ، ثم فى عهد العباسيين ببغداد ، وانتشرت فى مختلف الأقطار الاسلامية من الشرق الى الغرب - ثم ذكر الشعر الجاهلى ورد على من زيفه الى أن قال : من العناصر التى تتكون منها الثقافة الاسلامية هو العنصر الدينى المحض ، وفى مقدمته (القرآن والحديث) وإن ما نزل فى مكة من السور والآيات كان تشريعاً دينياً محضاً ، وأما ما نزل فى المدينة فيتناول التكوين السياسى والاجتماعى ، ولا غنى للمستشرقين عن دراسة القرآن ، وأما الذين لا يفعلون ذلك ولا سيما الذين يظنون أن الاسلام زال نشاطه ؛ فانهم يعنون بدراسة المسلمين أنفسهم أكثر مما يعنون بدراسة القرآن ؛ والقرآن لا يزال

يفسر بالسنة التى جاءت مبينـة لمشكله ومفصلة لمجمله ؛ وهى تتناول التشريع فى العبادات وغيرها وجميع مايتصل بالحياة اليومية . ولما انتشر الصحابة فى البلاد بعد الفتوح أخذ الناس عنهم الحديث ؛ وتناوله القصاص ، ووضع بعضهم أحاديث وقصصاً ، فانبرى لهم من العلماء رجال ميزوا بين الصحيح والموضوع ؛ وردوا مادسه الوضاعون ؛ وكانت نتيجة ذلك تدوين الـكتب الستة المعتمدة . وأقول إن التمسك بالسنة من أقوى ما يوجد فى الاسلام ، وإن الامام أحمد بن حنبل وأتباع مذهبه من أشد المتمسكين بالسنة . وقال بعض المستشرقين وهو الاستاذ ايغناس غولدزهر : ان تاريخ التطور الفـكرى فى الاسلام إنما يتمثل فى الصراع بين السنة والبدعة . ثم قال : نشأت الثقافة الاسلامية فى المدن وامتازت كل مدينة بطبائع وأخلاق ، فهنالك البصرة والـكوفة ، وهنالك المدينة المنورة وبغداد ومدن الاندلس وبلاد المغرب التى لاتزال الى الآن من أرقى المدن الاسلامية . ان وحدة الثقافة الاسلامية تقوم بوحدة العقائد الاسلامية ، وما كان الانقسام عند المسلمين الا فى الفروع ؛ وأعظم افتراق هو بين أهل السنة والشيعة ، وقد حدث فى هذه الايام تقارب بين الفريقين . ومهما يكن من تأثير العنصر الدينى فى الثقافة الاسلامية فان الاسلام ليس فيه مايمنع البحث العلمى ؛ وقد قامت عند المسلمين مدارس ناجحة للطب والعلوم ؛ وجميع المؤرخين فى

الاسلام لم نمط واحد فى ايراد الحوادث والوقائع ، لا كما نفعل نحن الآن بتحليل البيئات والمؤثرات والظروف ، ماخلا ولى الدين عبد الرحمن ابن خلدون فانه طبق قواعد النقد على التاريخ بكل معانى الكلمة ، وحاول أن يعلل الحوادث التاريخية على ضوء نظرياته الاجتماعية . ومن مظاهر وحدة الثقافة الاسلامية من جهة الأدب والشعر ، فان جميع المسلمين فى المشرق والمغرب يتحدون فى دراسة الشعر العربى ، وهو من أوثق الروابط بين الأقطار الاسلامية ، وعندى أن (اللغة العربية) من أهم دواعى وحدة الثقافة بين المسلمين ؛ وأهم أسباب تفوق هذه اللغة أنها اللغة الرسمية ، ولغة الدين ، ولا بد لاجل فهم القرآن والحديث النبوى من معرفة اللغة العربية معرفة دقيقة . وقال فى تأثير ثقافة الاسلام على أوربا : من مميزات المستشرقين فى هذه الايام إلحاحهم فى البحث عما اقتبسته الأمم النصرانية فى القرون الوسطى من ثقافة الاسلام ، ولقد كان ملتقى الادبين فى الاندلس ، وصقلية ، وبعض المدن الايطالية كالبندقية وجنوه ؛ وفى الحروب الصليبية أيضاً حدث احتكاك فى الافكار بين الشرق والغرب ؛ وان لتأثير الاسلام فى الامم النصرانية فى القرون الوسطى أشكالا مختلفة ، ويجب علينا الرجوع الى تاريخ العلوم لمقدر ما كان للمسلمين من التأثير على الحركة العلمية فى مدارس الافرنج فى القرون الوسطى ؛ وإن لغتنا الافرنسية لاتزال الى اليوم محافظة على كلمات

اقتبستها من لغة العرب ؛ وفى ذلك لمحة دالة على ماوراءه من اقتباس وتأثير . ثم ذكر أسباب انحطاط المسلمين فى الثقافة فقال : من القرن الخامس عشر الميلادى بدأ الانحطاط فى العالم الاسلامى ؛ وللمسلمين اهتمام شديد فى البحث عن أسباب هذا الانحطاط ، فمنهم من يرى أن الانحطاط ناشىء عن عدول المسلمين عما كان عليه سلفهم فى العصر الأول ، ومن ذلك سد باب الاجتهاد ، وبعض الاوروبيين يرى أن سبب تأخر المسلمين عدولهم عن البحث فى فلسفة أرسطو ؛ والذين يقدرون تقدم الآلات الميكانيكية فى الغرب يرون أن سبب تأخر المسلمين تقصيرهم فى الأخذ بأسباب الصناعة ومجاراة الأمم فيها ، وفى الواقع إن المسلمين لم يقتبسوا الطباعة إلا فى أزمان متأخرة ؛ ولو فكروا فى ذلك لكان له الأثر الطيب . والثقافة الاسلامية الحاضرة عدة اتجاهات أهمها الحركة (السلفية) التى يراد منها الرجوع الى بساطة الاسلام الأولى وتحكيم الكتاب والسنة . وتبتدىء الحركة (بابن تيمية) وتلميذه (ابن القيم) وأظن أن فى الشرق الأدنى طوائف من المسلمين تميل الى هذه الطريقة ؛ ولاحظت أنا بنفسى وجود اتجاه نحو ذلك فى المغرب : وهناك تيار تفكيرى آخر ينتسب الى السيد جمال الدين الافغانى ، والشيخ محمد عبده ، وهو أقرب تناولا من الأول ؛ وقد شاهدت ميلا عظيما الى هذا التيار ـ بجميع بلاد الاسلام فى الشرق والغرب . اهـ

هذا ماقاله الموسيو (هنرى لاوس) المستشرق الفرنسى عن رقى الاسلام وحضارية وتقدمه على سائر الأمم الشرقية والغربية عدة قرون وكان الأستاذ لأوربا فى العلوم والمعارف والميكانيك والفلسفة وكل شىء ، وأن سبب تأخر المسلمين لكونهم لم يسيروا على سير سلفهم الصالح ، وهذا قد نبهنا عليه إخواننا المسلمين فى كثير من المواضع من كتابنا هذا وأثبتنا لهم إثباتا عقلياً ونقليا بأنه لاسبيل الى نجاحهم إلا إذا رجعوا الى الوراء أكثر من ألف عام ، رجعوا الى ماضى مجدهم حيما كانوا قادة الأمم وسادتها فى كل شىء ، وكما قلنا غير مرة لا يزال باب الوصول الى النجاح مفتوحا على مصراعيه ، وليس عليهم الا ولوجه

نظرية أدوار مونتية

وجاء فى (الحديقة) جزء (١١) صحيفة (٢٤٢) تحت عنوان (الاسلام ينتشر بنفسه) : إن الاستاذ (أدوار مونتيه) مدير جامعة جنيف ألقى محاضرة قال فيها : إن الاسلام دين سريع الانتشار ، ينتشر من تلقاء نفسه دون أى تشجيع تقدمه له مراكز منظمة ، وذلك لأن كل مسلم مبشر بطبيعته ، المسلم شديد الإيمان وشدة إيمانه تستولى على قلبه وعقله ، وهذه ميزة فى الاسلام ليست الدين سواه ، ولهذا السبب ترى المسلم الملتهب إيمانا يبشر بدينه أينما ذهب وأى حل ، وينقل عدوى الايمان الشديد لكل من

يتصل به من الوثنيين . ولعمرى إن للايمان الاسلامى الشديد أكبر فضل فى نشره هذا الانتشار السريع . وفضلا عن الايمان فالاسلام تمشى مع الاحوال الاجتماعية ، والاقتصادية ، وله قدرة عجيبة على التكيف بحسب المحيط ، وعلى تكييف المحيط حسب ما يقتضيه هذا الدين القوى . ولا شك فى أن الاسلام يعد من أكبر وسائل تمدين الناس وترقية أحوالهم الاجتماعية والدينية والخلقية والاقتصادية ، الاسلام حضارة قائمة بنفسها رغم انحطاط المسلمين فى فترة من الزمن ، إلا أنهم الآن ينتبهون مرة ثانية وينشرون للمدنية والرقى فى كل أنحاء العالم . تأثير الاسلام فى السكان مفيد أكثر من تأثير المسيحية ، فالمسيحية ضعفها ظاهر فى إفريقيا ، بينما قوة الاسلام وعظم تأثيره فى الحالة الاجتماعية ، والدينية ، والخلقية والاقتصادية ، ظاهر جلى . وآخر ملاحظاتى هى أن للاسلام قوة اندماج وملاءمة الاوساط الافريقية ، والاوساط الراقية ، والمدنية العالية . وليست هذه المزية لاى دين أو نظام اجتماعى غيره

هذا ما قاله الاستاذ (أدوار مونتيه) عن قوة الاسلام وتأثيره فى عموم المعاصر . وان له قوة اندماج وملاءمة للاوساط الراقية والمدنية العالية . وهى شهادة من مدير جامعة جنيف للاسلام ، وهو على غير الدين الاسلامى ، فاذا قايسنا بينه وبين القائلين « ماذا عمل محمد ؟ ولو وجد محمد فى هذا العصر ماذا كان يعمل » ؟ نجد أن هؤلاء القائلين بهذا القول

الجاهل إذا رام مباراة العلم فليس له موضع الا الاندحار . وانك لاتجد لهؤلاء الاغبياء مبرراً لافوالهم ، وإنما قد أتوا بمبررات تدل على قوة وقاحتهم وعظيم جهلهم ؛ وأثبتوا للملأ أجمع أنهم أحط من الحيوانات العجم إدراكا وفهما وتصوراً

نظرية الفيلسوف توماس كارليل

هنا أنقل للقارئ ماقاله الفيلسوف توماس كارليل فى كتابه (الأبطال) تعريب محمد السباعى ـ فى المحاضرة الثانية ـ تحت عنوان (البطل فى صورة رسول) ، قال كارليل : لقد أصبح من أكبر العار على أى فرد متمدن من أبناء هذا العصر أن يصغى الى مايظن من أن دين الاسلام كذب ، وأن محمداً خداع مزور ، وآن لنا أن نحارب ما يشاع من مثل هذه الأقوال السخيفة المخجلة ؛ فان الرسالة التى أداها ذلك الرسول ما زالت السراج المنير مدة اثنى عشر قرنا لنحو مائتى مليون من الناس أمثالنا ، خلقهم الله الذى خلقنا ، أفكان أحدكم يظن أن هذه الرسالة التى عاش بها ومات عليها هذه الملايين الفائتة الحصر والإحصاء أكذوبة وخدعة ؟ أما أنا فلا أستطيع أن أرى هذا الرأى أبداً ، ولو أن الكذب والغش يروجان عند خلق الله هـذا الرواج ويصادفان منهم مثل ذلك التصديق والقبول فما الناس إلا بله ومجانين ، وما الحياة إلا سخف وعبث

وأضلولة كان الاولى بها أن لاتخلق ، فوا أسفاه ما أسوأ مثل هذا الزعم وما أضعف أهله وأحقهم بالرثاء والمرحمة . وبعد فعلى من أراد أن يبلغ منزلة ما فى علوم الكائنات أن لا يصدق شيئاً البتة من أقوال أولئك السفهاء ؛ فانها نتائج جيل كفر ، وعصر جحود والحاد ؛ وهى دليل على خبث القلوب وفساد الضمائر وموت الأرواح فى حياة الأبدان ، ولعل العالم لم ير قط رأيا أكفر من هذا وألأم . وهل رأيتم قط معشر الإخوان أن رجلا كاذبا يستطيع أن يوجد دينا وينشره ؟ عجباً والله ، إن الرجل الكاذب لايقدر أن يبنى بيتا من الطوب ، فهو إذا لم يكن عليما بخصائص الجير والجص والتراب وما شا كل ذلك فما ذلك الذى يبنيه ببيت ، وإنما هو تل من الأنقاض وكثيب من أخلاط المواد . نعم وليس جديراً أن يبقى على دعائمه اثنى عشر قرنا يسكنه مائتا مليون من الأنفس ، ولكنه جدير أن تنهار أركانه فينهدم فكأنه لم يكن . ثم تكلم عن ولادته ﷺ وعن كفالة جده عبدالمطلب ثم عمه أبى طالب ورفقته الى الشام وأدحض فرية من قال إنه تعلم على بحيرا الراهب ، وأثبت أنه أمى . وذكر شيئاً عن أحوال العرب وأخلاقهم وذهنيتهم ، الى أن قال : ثم لا ننسى شيئاً آخر ، وهو أنه لم يتلق دروساً على أستاذ أبداً . وكانت صناعة الخط حديثة العهد إذ ذاك فى بلاد العرب ، ويظهر لى أن الحقيقة هى أن محمداً لم يكن يعرف الخط والقراءة . وكل ماتعلم هو عيشة الصحراء وأحوالها .

وكل ما يوفق الى معرفته هو ما أمكنه أن يشاهد بعينه ويتلقى بفؤاده من هذا السكون العديم النهاية . وعجيب وأيم الله أمية محمد . نعم إنه لم يعرف من العالم ولا من علومه إلا ماتيسر له أن يبصره بنفسه أو يصل الى سمعه فى ظلمات صحراء العرب ، ولم يضره ولم يُزْر به أنه لم يعرف علوم العالم لاقديمها ولا حديثها ، لأنه كان غنيا بنفسه عن كل ذلك . ثم قال : يزعم المتعصبون من النصارى والملحدون أن محمداً لم يكن يريد بقيامه إلا الشهرة الشخصية ، ومفاخر الجاه والسلطان . كلا وأيم الله ، لقد كان فى فؤاد ذلك الرجل الكبير أفكار غير الطمع الدنيوى ونوايا خلاف طلب السلطة والجاه ـ الى أن قال ـ أقول ومازالت هذه الخطة المثلى والمذهب الاشرف الأطهر ، وما زال الرجل مصيباً وظافراً وحراً وكريماً ، وسائراً على المنهج الاقوم ، وسالكا سبيل السعادة ، مادام معتصما بحبل الله ، متمسكا بقانون الطبيعة الأكبر الأمكن ، غير مبال بالقوانين السطحية ، والظواهر الوقتية ، وحسابات الربح والخسارة . نعم هو ظافر . ثم قال : فمن فضائل الاسلام تضحية النفس فى سبيل الله ، وهذا أشرف مانزل من السماء على نبي الأرض . نعم هو الله قد سطع فى روح ذلك الرجل فأنار ظلماتها ، هو ضياء باهر كشف تلك الظلمات التى كانت تؤذن بالخسران والهلاك . وقد سماه محمداً ، وحياه جبريل . وأينا يستطيع أن يحدث له اسماً ؟ ألم يجيء فى الانجيل إن وحى الله يهبنا الفهم

والادراك ؟ ولا شك أن العلم والنفاذ الى صميم الأمور وجواهر الأشياء لسرٌّ من أغمض الاسرار لايكاد المنطقيون يلمسون منه إلاقشوره . وقد قال نوفاليس « أليس الايمان هو المعجزة الحقة الدالة على الله » ؟ فشعور محمد اذ اشتعلت روحه بلهيب هذه الحقيقة الساطعة ، بأن الحقيقة المذكورة هى أهم مايجب على الناس علمه ، لم يك إلا أمراً بديهياً . وكون الله قد أنعم عليه بكشفها له ونجاه من الهلاك والظلمة ، وكونه قد أصبح مضطراً الى إظهارها للعالم أجمع ، هذا كله هو معنى كلمة (محمد رسول الله) وهذا هو الصدق الجلى والحق المبين . ثم ذكر ما وقع بين النبى ﷺ وقريش من المحاورات ، وتعنتهم لعدم قبول دعوته . وعرض نفسه على القبائل وهجرته الى المدينة . ثم قال : ومن هذه الهجرة يبتدىء التاريخ فى المشرق وهى السنة الخامسه والخمسون من عمر محمد ، فترون أنه كان قد أصبح إذ ذاك شيخا كبيرا ، وكان أصحابه يموتون واحداً بعد واحد ويخلون أمامه مسلكا وعراً ، وسبيلا قفراً ، وخطة نكراء موحشة . فاذا هو لم يجد من ذات نفسه مشجعاً ومحركا ، ويفجر بعزمه ينبوع أمل بين حنيه ، فهيهات أن يجد بارقات الامل فيما يحدق به من عواس الخطوب ، ويحيط به من كالحات المحن والملمات. وهكذا شأن كل إنسان فى مثل هذه الأحوال وكانت نية محمد حتى الآن أن ينشر دينه بالحكمة والموعظة الحسنة فقط ، فلما وجد أن القوم الظالمين لم يكتفوا برفض رسالته السماوية وعدم

الاصغاء الى صوت ضميره وصيحة لبه حتى أرادوا أن يسكتوه فلا ينطق بالرسالة ـ أى يقتلوه ـ عزم ابن الصحراء على أن يدافع عن نفسه دفاع رجل، ثم دفاع عربى، ولسان حاله يقول «أماوقد أبت قريش إلا الحرب فلينظر وا أى فتيان هيجاء نحن» ثم قال: ولقد قيل كثيراً فى شأن نشر محمد دينه بالسيف، فاذا جعل الناس ذلك دليلا على كذبه فشد ما أخطأوا وجاروا، فهم يقولون ما كان الدين لينتشر لولا السيف، ولكن ماهو الذى أوجد السيف؟ هو قوة ذلك الدين وأنه حق، والرأى الجديد أول ما ينشأ يكون فى رأس رجل واحد، فالذى يعتقده هو فرد، فرد ضد العالم أجمع، فاذا تناول هذا الفرد سيفاً وقام فى وجه الدنيا فقلما والله يضيع. وأرى على العموم أن الحق ينشر نفسه بأية طريقة حسبما تقتضيه الحال، أو لم تروا أن النصرانية كانت لا تأنف أن تستخدم السيف أحيانا؟ وحسبكم ما فعل شارلمان بقبائل السكسون. وأنا لا أحفل أكان انتشار الحق بالسيف أم باللسان أم بأية آلة أخرى، فلندع الحقائق تنشر سلطانها بالخطابة أو بالصحافة أو بالنار، لندعها تكافح وتجاهد بأيديها وأرجلها وأظفارها، فانها لن تهزم إلا ما كان يستحق أن يهزم، وليس فى طاقتها قط أن تفنى ماهو خير منها بل ما هو أحط وأدنى. وهنا أخذ يبرهن بالأدلة الفلسفية والمنطقية والعقلية على صحة نبوة نبينا محمد ﷺ ويرد على المبشرين والمتغطرسين فرياتهم على الاسلام ونبى الاسلام، الى

أن قال : نحن سمينا الاسلام ضربا من النصرانية . ولو نظرنا الى ما كان من سرعته الى القلوب ، وشدة امتزاجه بالنفوس ، واختلاطه بالدماء فى العروق لأيقنا أنه كان خيراً من تلك النصرانية التى كانت إذ ذاك فى الشام واليونان وسائر تلك الأقطار والبلدان . تلك النصرانية التى كانت تصدع الرأس بضوضائها الكاذبة ، وتترك القلب ببطلانها قفراً ميتاً .
ثم قال : نظر محمد من وراء أصنام العرب الكاذبة ، ومن وراء مذاهب اليونان واليهود ورواياتهم وراهينهم ومزاعمهم وقضاياهم ، نظر ابن القفار والصحارى بقلبه البصير الصادق ، وعينه المتوقدة الجليلة ، الى لباب الأمر وصميمه ، وقال « إنما الحق أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، خلقنا وبيده حياتكم وموتكم وهو أرأف بكم منكم ، وما أصابكم من شىء فهو خير لكم لو كنتم تفقهون » ان ديناً آمن به أولئك العرب الوثنيون وأمسكوه بقلوبهم النارية لجدير أن يكون حقاً ، وجدير أن يصدق به ، وإن ما أودع هذا الدين من القواعد هو الشىء الوحيد الذى للانسان أن يؤمن به ، وهذا الشىء هو روح جميع الأديان . ثم قال : لقد جاء الاسلام على تلك الملل الكاذبة والنحل الباطلة فابتلعها . وحق له أن يبتلعها ، لأنه حقيقة خارجة من قلب الطبيعة . وما كاد يظهر الاسلام حتى احترقت فيه وثنيات العرب . وجدليات النصرانية . وكل ما لم يكن بحق . فانها حطب ميت أكلته نار الاسلام فذهب ، والنار لم

تذهب . أما القرآن فان فرط إعجاب المسلمين به وقولهم باعجازه هو أكبر دليل على اختلاف الأذواق في الامم المختلفة . هذا وان الترجمة تذهب بأكثر جمال الصنعة وحسن الصياغة . ولذلك لا عجب إذا قلت إن الأوروبي يجد في قراءة القرآن أكبر عناء ، فهو يقرؤه كما يقرأ الجرائد لا يزال يقطع في صفحاتها قفاراً من القول الممل المتعب ، ويحمل على ذهنه هضابا وجبالا من الكلم لكي يعثر في خلال ذلك على كلمة مفيدة . أما العرب فيرونه على عكس ذلك لما بين آياته وبين أذواقهم من الملائمة ، ولانه لا ترجمة ذهبت بحسنه ورونقه . فلذلك رآه العرب من المعجزات ، وأعطوه من التبجيل ما لم يعطه أتقى النصارى لانجيلهم . وما برح في كل زمان ومكان قاعدة التشريع والعمل ، والقانون المتبع في شؤون الحياة ومسائلها ، والوحي المنزل من السماء هدى للناس وسراجا منيراً يضيء لهم سبل العيش ويهديهم صراطاً مستقيما ، ومصدر أحكام القضاة ، والدرس الواجب على كل مسلم حفظه والاستنارة به في غياهب الحياة . وفي بلاد المسلمين مساجد يتلى فيها القرآن جميعه كل يوم مرة يتقاسمه ثلاثون قارئاً على التوالي ، وكذلك مابرح هذا الكتاب يرن صوته في آذان الألوف من خلق الله وفي قلوبهم اثنى عشر قرنا في كل آن ولحظة . ويقال إن من الفقهاء من قرأه سبعين ألف مرة . إذا خرجت الكلمة من اللسان لم تتجاوز الآذان ، وإذا خرجت من القلب نفذت الى

القلب . والقرآن خارج من فؤاد محمد فهو جدير أن يصل الى أفئدة سامعيه وقارئيه . وقد زعم (براديه) وأمثاله أنه ـ أى القرآن ـ طائفة من الاخاديع والتزاويق لفقها محمد لتكون أعذاراً له عما كان يرتكب ويقترف ، وذرائع لبلوغ مطامعه وغايته . ولكنه قد آن لنا أن نرفض جميع هذه الأقوال ، فانى لأمقت كل من يرمى محمداً بمثل هذه الا كاذيب ، وما كان ذو نظر صادق ليرى قط فى القرآن مثل ذلك الرأى الباطل ، والقرآن لو تبصرون ما هو إلا جمرات ذكيات قذفت بها نفس رجل كبير النفس بعد أن أوقدتها الأفكار الطوال فى الخلوات الصامتات . ثم تكلم عن الزكاة فقال : وفى الاسلام خلة أراها من أشرف الخلال وأجلها ، وهى التسوية بين الناس ، وهذا يدل على أصدق النظر وأصوب الرأى ، فنفس المؤمن راجحة بجميع دول الأرض ، والناس فى الاسلام سواء ، والاسلام لا يكتفى بجعل الصدقة سنة محبوبة ، بل يجعلها فرضاً حتما على كل مسلم ، وقاعدة من قواعد الاسلام ، ثم يقدرها بالنسبة الى ثروة الرجل فتكون جزءا من أربعين من الثروة تعطى الى الفقراء والمساكين والمنكوبين . جميل والله كل هذا ، وما هو إلا صوت الانسانية ، صوت الرحمة والاخاء والمساواة . ثم تكلم عن محاسن الصوم وفوائده ، وعن الجنة والنار والآخرة ، وحلل ذلك بتحاليل فلسفية الى أن قال : ولقد أخرج الله العرب بالاسلام من الظلمات الى النور ،

وأحيي به من العرب أمـة هامدة ، فأرسل الله لهم نبيا بكلمة من لدنه ورسالة من قبله فاذا الخمول قد استحال شهرة ، و الغموض نباهة ، والضعة رفعة ، والضعف قوة ، والشرارة حريقاً . وسع نوره الأنحاء ، وعم ضوؤه الأرجاء ، وعقد شعاعه الشمال بالجنوب والشرق بالغرب ، وما هو إلا قرن بعد هـذا الحادث حتى أصبح لدولة العرب رجل فى الهند ورجل فى الأندلس ، وأشرقت دولة الاسلام حقباً عديدة ودهوراً مديدة ، بنور الفضل والنبل والمروءة والبأس والنجدة ورونق الحق والهدى على نصف المعمورة ، وكذلك الايمان عظيم ، وهو مبعث الحياة ومنبع القوة ، وما زال للأمة رقى فى درج الفضل وتعريج الى ذرى المجد ، مادام مذهبها اليقين ومنهاجها الايمان . ألستم ترون حالة أولئك الأعراب ومحمدهم وعصرهم كأنما قد وقعت من السماء شرارة على تلك الرمال التى كان لا يبصر بها فضل ، ولا يرجى فيها خير ، فاذا هى بارود سريع الانفجار وما هى برمل ميت ، واذا هى قد تأججت واشتعلت واتصلت نارها بين غرناطة ودهلى ، ولطالما قلت : إن الرجل العظيم كالشهاب من السماء ، وسائر الناس فى انتظاره كالحطب ، فما هو إلا أن يسقط عليهم حتى يتأججوا ويلتهبوا

هذا بعض ما قاله الفيلسوف (توماس كارايل) الانـكليزى فى كتابه الأبطال فى محاضرته الثانية التى ألقاها على جمع عظيم من أبنـاء

بريطانيا ورجالها ، عن نبى الاسلام ودين الاسلام وكتاب الاسلام ، فهل وقف جرثومة الالحاد ذلك الضال المضل الذى قد سمم بعض طلبة مدارس مصر بتشكيكه وإلحاده ، وقوله فى (القرآن المجيد) انه كتاب ككل الكتب ، وقوله لتلاميذه الذين رماهم القدر بين يديه : ضعوا القرآن أمامكم موضع الكتب العادية وانتقدوه بشجاعة . فاذا صكه العمى ولم يبصر بلاغة القرآن وإعجازه ، ألم يسمع قول الأستاذ كارليل فى القرآن وهو رجل انكليزى بعيد عن لغة العرب وبلاغتهم ؟ فاذا كان دأبه تقليد رجال الغرب فلماذا لم يقلد كارليل ؟ نعم انه لم يقلد رجال الاصلاح حيث لم يذق للاصلاح طعما ، وإنما يقلد أهل الزيغ والالحاد والضلال والتشكيك ، لأن ذوقه ألف القذارة ، والمنبوذ من الرأى والقول . أولئك الذين أصمهم الله وأعمى أبصارهم ، أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ؟

نظرية الدكتور انسباتو

وجاء فى (الحديقة) فى الجزء الخامس صحيفة (١٦٢) قول الدكتور (انسباتو) الايطالى فى كتابه (الاسلام وسياسة الخلفاء) : ان الكرم العلمى والصدقة الفكرية ، صفتان من صفات الاسلام شأنهما أن تجعلا الأمة العاملة بهذا الدين أهلا لأن تبلغ من الحضارة ذروتها العليا

نظرية هنرى دى شامبون

وجاء فى (الحديقة) فى الجزء السابع صحيفه (٢٤٦) تحت عنوان (الانتصار الهمجى على العرب) قول هنرى دى شامبون مدير (ريفو بارلمنتير) الفرنسية : لولا انتصار جيش (شارل مارتل) الهمجى على تقدم العرب فى فرنسا لما وقعت فرنسا فى ظلمات القرون الوسطى ، ولما أصيبت بفظائعها ولا كابدت المذابح الأهلية الناشئة عن التعصب الدينى والمذهبى ، ولولا ذلك الانتصار البربرى على العرب لنجت إسبانيا من وصمة محاكم التفتيش ، ولولا ذلك لما تأخر سير المدنية ثمانية قرون ، ونحن مدينون للشعوب العربية بكل محامد حضارتنا فى العلم والفن والصناعة ، مع أننا نزعم اليوم أن لنا حق السيطرة على تلك الشعوب العريقة فى الفضائل ، وحسبها أنها كانت مثال الكمال البشرى مدة ثمانية قرون ، بينما كنا يومئذ مثال الهمجية . وإنه لكذب وافتراء ما ندعيه من أن الزمان قد اختلف ، وأنهم صاروا يمثلون اليوم ما كنا نمثله نحن فيما مضى

نظرية المستر ولز

وجاء فى (الحديقة) فى الجزء السابع أيضا صحيفة (٢٦٢) تحت عنوان (الاسلام هو المدنية) قول المستر (ولز) وهو أكبر كتاب الانكليز على الاطلاق وله مؤلفات عدة ، وقد كتب مؤخراً مقالا عن الاسلام

وأبدى رأيه فى الدين الحنيف ، ونقلت مقاله الصحف الانكليزية التبشيرية وانتقدته ، قال المستر ولز : كل دين لا يسير مع المدنية فى كل طور من أطوارها فاضرب به عرض الحائط ولا تبال به ، لأن الدين الذى لا يسير مع المدنية جنبا الى جنب لهو شر مستطير على أصحابه يجرهم الى الهلاك ، وإن الديانة الحقة التى وجدتها تسير مع المدنية أنى سارت هى (الديانة الاسلامية) . وإذا أراد الانسان أن يعرف شيئاً من هذا فليقرأ (القرآن) وما فيه من نظرات علمية وقوانين وأنظمة لربط المجتمع ، فهو كتاب دينى علمى اجتماعى تهذيبى خلقى تاريخى ، وكثير من أنظمته وقوانينه تستعمل حتى فى وقتنا الحالى ، وستبقى مستعملة حتى قيام الساعة وإذا طلب منى أحد القراء أن أحدد له الاسلام فاننى أحدده بالعبارة التالية : هل فى استطاعة انسان أن يأتينى بدور من الأدوار كان فيه الدين الاسلامى مغايراً للمدنية والتقدم ؟ كان النبى محمد زراعياً وطبيباً وقانونياً وقائداً ، واقرأ ماجاء فى أحاديثه تتحقق صدق ما أقول ، ويكفى أن قوله المأثور « نحن قوم لا نأكل حتى نجوع ، وإذا أكلنا لا نشبع » هو الاساس الذى بنى عليه علم الصحة ، ولم يستطع الأطباء على كثرتهم ومهارتهم أن يأتوا حتى اليوم بنصيحة أثمن من هذه . والخلاصة فان محمداً كان مجموعة من الحسن والنبوغ والبحث ، وهذا هو التحديد الصحيح الذى يجب على كل مسلم أن يعرفه . ثم قال : إن محمداً هو

الذى استطاع فى مدة وجيزة لا تقل عن ربع قرن أن يكتسح دولتين من أعظم دول العالم ، وأن يقلب التاريخ رأساً على عقب ، وأن يكبح جماح أمة اتخذت الصحراء المحرقة سكناً لها واشتهرت بالشجاعة ورباطة الجأش والأخذ بالثأر ، واتباع آثار آبائها ، ولم تستطع الدولة الرومانية أن تغلب الامة العربية على أمرها ، فمن الذى يشك أن القوة الخارقة للعادة التى استطاع محمد أن يقهر خصومه بها هى من عند الله ؟ . اهـ

ماجاء فى دائرة المعارف البريطانية

وجاء فى رسالة (حقيقة الدين الاسلامى) نقلا عن دائرة المعارف البريطانية المجلد (١٥) موضوع القرآن : « إن محمداً وفق فى دعوته أكثر من أى نبى آخر » . ونقل أيضا عن كتاب (حياة محمد) ان (السر ويليم ميور) الناقد الذى لم يناصر الاسلام ونبيه ﷺ أبداً ، قد اعترف بمعجزة الانقلاب العظيم الذى أحدثه النبى ﷺ بقوله : عندما كان النبى شابا كانت أحوال وأطوار جزيرة العرب عقيمة رجعية ، ولربما لم يكن الاصلاح فى أية فترة أخرى بأصعب مما كان فى ذلك العهد ، فظهر النبى ﷺ واستعد قومه لدين جديد وروحانية جديدة ، وتطاير شرار الانقلاب من كل حدب وصوب فى الجزيرة العربية ، واستعد القوم

لذلك الانقلاب الحديث . واذا استعرضنا تاريخ جزيرة العرب قبل الاسلام نجد أن الديانة المسيحية لم تحدث خلال خمسة قرون شيئا يذكر سوى تنصر قليل من الناس فى مختلف الاماكن ، وإذا تعمقنا كثيراً فى تاريخ الأديان نرى أن الديانتين اليهودية والنصرانية لم تؤثرا على روح العرب وإنما الاعتقادات الاسماعيلية (يعنى ملة ابراهيم) هى التى كانت مستولية على أذهانهم ، وحالة جزيرة العرب قبل الاسلام لم تكن صالحة لقبول أى انقلاب دينى أو اجتماعى أو سياسى ، لأن عبادة الأصنام كانت راسخة فى قلوب العرب ، وأنهم منذ قرون لم يعهدوا أحدا استطاع أن يغير عقيدتهم رغم مساعى نصارى مصر وسوريا

الى هنا نقتصر على ماتقدم حيث لو أردنا أن نستوعب كل ما قاله علماء الغرب المنصفون فى فضائل ومحاسن نبى الاسلام ، ودين الاسلام ، ومدنية الاسلام ، وحضارة الاسلام ، والتشريع الاسلامى القضائى والمدنى ، لضاق بنا المقام واحتاج الأمر الى عدة أجزاء ، حيث أن هذا الأمر شائع عند كثير من علماء الغرب الذين تتبعوا الحوادث الاسلامية السياسية والاجتماعية والادارية وغير ذلك . ولنختم بحثنا هذا بما جاء فى (الحديقة) بالجزء السابع صحيفة (٢٠٠) تحت عنوان (نصف قرن على الاسلام فى انكلترا) وهى محاضرة ألقاها الشيخ عبد الله كوليام الانكليزى فى نادى جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة

محاضرة الأستاذ عبد الله كوليام

قال الشيخ عبد الله كوليام : منذ ستين عاماً أشار عليّ الأطباء براحة أمضيها فى جبل طارق ، فلما سرت الى هناك ركبت سفينة الى طنجة لمشاهدة بعض البلاد المراكشية ، واتفق أننى لما صعدت السفينة رأيت فيها بعض الحجاج من أهل المغرب يغترفون الماء بالدلو من البحر ويتطهرون مبالغين فى النظافة ، ثم أقلعت السفينة ، وما كادت تغادر الميناء حتى رأيت هؤلاء الجماعة قد اصطفوا للصلاة صفوفاً جميلة ، وجعلوا يصلون معاً بخشوع وطأنينة ، غير مكترثين بتمايل السفينة واضطراب الريح ، ولقد أثر فى نفسى ما قرأته على وجوههم من صدق الايمان ، فأثارت حالتهم هذه الأهتمام الزائد عندى فى أن أستزيد من المعلومات عن الدين الذى يدينون به ، وماعتمت أن تعرفت بمسلم يتكلم الانكليزية فكان يلازمنى دائما مدة إقامتى فى طنجة ، لا سيما بعدما شعر منى بالرغبة فى معرفة المبادىء التى يدعو الاسلام اليها ، والروابط التى تربط المسلمين بعضهم ببعض . وفى ذات مساء جلست معه فى مقهى من مقاهى طنجة وكان ثمة رجل اسرائيلى اسمه موسى يعرفه صاحبى المسلم ، فقال لى صاحبى : أريد أن أضرب لك مثلا يوضح حقيقة الديانات الثلاث السماوية السائدة فى الأرض ، وهى الديانات التى نمثلها أنا وأنت وهذا الاسرائيلى . ان الأنبياء سفراء الله الى الناس ، يحملون اليهم قواعد

الاصلاح ويدلونهم على طريق السعادة ، لهذا جاء آدم ونوح وابراهيم ، وكل الانبياء بعد إبراهيم ، وقبل أن يفترق الناس الى يهود ونصارى ومسلمين كانوا جميعا على ملة واحدة . فجاء المسيح عليه السلام بهداية جديدة أدرك صدقها ونفعها الذين اتبعوا المسيح فانفصلوا عن اليهود ، وكانوا على حق فى انفصالهم هذا ، لأن المسيحية جاءت مصدقة لما تقدمها ومرشدة الى الطريق الأقوم . ثم جاء محمد ﷺ مصدقا لجميع الانبياء قبله ومرشدا الى الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعم عليهم بالهداية والارشاد فانفصل المسلمون أيضا وكانوا على حق فى انفصالهم هـذا كما كان المسيحيون على حق يوم انفصلوا عن اليهود . فكما أن المسيحية أفضل من اليهودية لأنها وحى أقرب عهدا من الوحى الأول ، كذلك الاسلام أفضل من المسيحية واليهودية معاً لأنه أحدث الوحى وآخر الديانات وأبقاها : كنت أسمع حديث صديقى وأطيل التفـكر فيه ، ولا أشعر فى نفسى بمعارضة له ، لأنه كان معقولا ومنطقياً ، فعولت من ذلك الحين على أن أقرأ الاسلام فى كتبه ، وأن أقرأ ما كتبه عنه العلماء المنصفون ، فقرأت ترجمة سل للقرآن الشريف ، وقرأت كتاب الأبطال لـكارليل وقرأت غيرها . وما خرجت من طنجة إلا وأنا مستسلم للاسلام ، مذعن لقوته ، مقر بأنه حق ، وأنه خير الأديان

ولما رجعت الى انـكلترا كان شغلى الشاغل التفكير فى الأسلوب

الذى يجب أن أتبعه لا دعو الناس الى الاسلام وأقنعهم به وأحملهم على الايمان به ، وكنت أعلم أن ماشحنه أعداء هـذه الهداية فى رءوس الأوربيين عن الاسلام سيحول بينى وبين التفاهم مع الجمهور بطريق المحاضرات أو النشر ، لأن جمهور الانـكليز اذا حدثتهم عن الاسلام يظنون أنك تحدثهم عن دين وثنى ، والنشر نفسه تحول بيننا وبينه عقبات ، لان الصحف لا تفتح صدرها لمثل هذه الدعوة ، والناس هناك بالاجمال غير مستعدين للاصغاء الى هذه الدعوة . ثم بدا لى أن أطرق بابا غير مباشر وهو أن ألتحق بجمعية (النهى عن المسكرات) التى كانت تلقى محاضرات دورية . وبالفعل ألقيت فى هذه الجمعية محاضرة موضوعها (المتعصبون ، والتعصب) استهللتها بذكر بعض الشخصيات البارزة فى عالم الاختراع والاصلاح الاجتماعى مثل (ستيفنسون) مكتشف القوة البخارية و(ويلبر فورس) المجاهد فى سبيل تحرير الرقيق ، وأتيت على مجمل ما لاقاه كل هؤلاء من المقاومة والاضطهاد والسخرية بما صرفوا له مواهبهم . قلت : وبالرغم من ذلك نرى آثار هؤلاء العظماء وإصلاحاتهم فى انتشار ونماء ، وقد استفادت منها الانسانية فوائد عظيمة ، فاعترفت لهم الأمم كلها بالفضل والعظمة . ثم أردفت بذكر سيدنا محمد ﷺ فقلت : إن هذا المصلح الكبير جاء البشر بالرسالة ودعا الناس الى الخير ، ومع ذلك فقد ناله من الاذى والاضطهاد ما يجده كل مصلح عظيم يعمل على

خير الانسانية ، فلما تبين البشر فضله بعد قليل دخلوا فى دينه أفواجا ؛ وما زالوا كذلك حتى بلغوا الآن مئات الملايين فى جميع أطراف المعمور ثم ذكرت شيئا من آداب الاسلام والمبادئ والتعاليم التى دعا اليها النبى ﷺ ، فكان هذا الموضوع طريفاً جدا فى نظر الصحفيين الذين كانوا موجودين يسمعون هذه المحاضرة ، واستأذنونى فى أن يأخذوا خلاصتها فى صحفهم ، فقلت : لا بل أشترط أن تؤخذ كاملة ، فان لم تنشر كاملة فلا آذن بأخذ شىء منها ، فوافقوا وأخذوا نصها . لكن القسس لما علموا بالأمر أسرعوا الى مديرى الصحف وقالوا لهم : إن المحاضرة فيها دسائس ، وإنها تتضمن الدعوة الى دين وثنى ، وفيها تحريض المسيحيين على أن يصبأوا عن دينهم ، فوافق مديرو الصحف على حذف ما فى المحاضرة خاصا بمحمد ﷺ ونشروا الباقى ؛ أما أنا فاعتماداً على ما اتفقت عليه مع مندوبى الصحف أنذرت القوم بأنى سأحاكمهم أمام القضاء على تشويه محاضرتى ، وطالبتهم بأن يعملوا بما كان الاتفاق عليه فينشروا المحاضرة كاملة ، والا فالقضاء بينى وبينهم ؛ فأذعنوا لما طالبته بعد أن أعادوا النظر فى المحاضرة ورأوا أن ما قاله القسس مبالغ فيه ، فنشروها كاملة ، وكان لذلك تأثير عظيم لكثرة الأيدى التى تناولت تلك الصحف . ولما بلغت هذا النجاح فكرت فى أن يكون لنا فى بلدى (ليفر بول) مكان نقيم فيه الشعائر الاسلامية

ونلقى فيه المحاضرات ، وبالفعل اخترنا مكانا جعلنا نصفه للعبادة ونصفه للدرس والوعظ وإلقاء الخطب ، وما كدنا نفتح أبواب هـذا البيت الاسلامى حتى صار القسس يدسون لنا الأشرار والمتحمسين من صغار العقول ؛ وأفادنا هؤلاء القسس بما كانوا يكذبون علينا ويصموننا به من الأمور الباطلة ، فاذا جاءنا المخدوعون بأكاذيبهم ولم يجدوا شيئاً مما حشيت به رءوسهم يكون لذلك رد فعل حسن جداً . ومما أوذينا به أن أولئك الأشرار كانوا يلقون الأقذار على المصلين أثناء الصلاة أو وقت خروجهم من بيت الله ، وكانوا يرجمون المؤذن بالحجارة وينثرون الزجاج المكسور على سجادات الصلاة ليجرحوا جباهنا وأيدينا وأرجلنا وفى ذات مساء انتهزوا فرصة وجودنا فى مسجدنا فجاءوا الى درجات السلم ووضعوا أمامها أسلاكا لنعثر بها عند خروجنا فى الليل ، ومن محاسن الصدف أن أحد الاخوان أهدى الىّ يومئذ عصا وإن لم يكن من عادتى أن أحمل العصا ، فحملتها . وبينما أنا خارج من مسجدنا أمام إخوانى أحرك العصا بيدى صدمت عصاى السلك فانتبهت له وللاسلاك الأخرى ووقانا الله شرها وشر أصحابها . ودخلت المسجد مرة أنا واخوانى لألقى عليهم محاضرة فى تفسير آية من القرآن الشريف ، فرأيت قد سبقنا الى المسجد جماعة قرأت فى وجوههم أنها وجوه غريبة فلم أبال بهم وتلوت آية القرآن الشريف وشرعت أفسرها وأستنتج منها

للعظات والعبر ، فلما انتهيت من المحاضرة قام أحد أولئك المريبين وأخرج من جيبه حجارة وألقاها فى الأرض ثم توجه الى أصحابه وقال لهم : من كان منكم يريد أن يرجم المسلمين بالحجارة التى معه فانا صرت الآن مسلماً فارجمونى بها . فألقوها هم أيضا فى الارض وأعلنوا اسلامهم . وهذا الرجل الذى كان رئيساً لهم مالبث أن أصبح عضدى الايمن . وقد اختار لنفسه اسم (جمال الدين على) ولازمنى فى كل رحلاتى التى قمت بها للدعوة الى الاسلام ، حتى اننا ذهبنا مرة الى بلدة (بيركنهيد) وكان مقرراً أن ألقى فى جمعية منع المسكرات محاضرة . فأتيت فى هذه المحاضرة بشىء عن الاسلام والنبى ﷺ ، فاهتمت سكرتيرة الجمعية بمحاضرتى وطلبت منى أن أشفى غليلها باعطائها معلومات أخرى عن الاسلام ، ثم قالت : ولكن أليس نبى المسلمين هو القائل إن النساء ليست لهن أرواح فلا يدخلن الجنة ؟ فأخبرتها بأن هذا من اختلاقات أعداء الاسلام ، وأعطيتها المعلومات الصحيحة عن الدين الاسلامى ومبادئه وقواعده ، فأسلمت هذه السيدة وسميت (فاطمة) وأسلم على يدها شقيقتاها وزوجها وفى إحدى المرات كنت ألقى محاضرة فى (ايفر بول) ، وعند الانتهاء تقدم الى رجل وطلب أن يرافقنى فى طريقى الى البيت ليحادثنى أثناء الطريق ، وصرنا نتحدث عن الاسلام ، وكانت أسئلته لى وأجوبتى عليها داعية لسرورنا ، فلما بلغت باب المنزل دعوته لشرب الشاى عندى ،

وبقينا الى نصف الليل فى حديث الاسلام وشرف مميزاته ومبادئه العلمية الصالحة لكل زمان ومكان ، وأخيراً قال لى : وإذا كان ما تقوله عن الاسلام حقاً فماذا يمنعك من أن تكون مسلما ؟ فأجبته : إنى أفتخر بأنى مسلم . فأسلم هو أيضاً وتسمى (جمال الدين بخارى) والآن فان البعض يعتقدون بأن اللورد (هدلى) هو أول لورد انكليزى دخل فى الاسلام ، وليس هذا صحيحاً ، فقد دخل فى الاسلام قبله اللورد (ستنلى أو لدرلى) الذى كان يحب أن يدعى بين اخوانه المسلمين باسم (عبد الرحمن افندى) وكان يأتى مسجدنا فيصلى مع إخواننا رغم مابينهم وبينه من التفاوت العظيم فى المنزلة الاجتماعية . وبلغ عدد الذين أسلموا من الانكليز بضع مئات

ثم قال : وعلى ذكر المسجد والمصلين أقول : إننا كنا متبعين السنة الاسلامية فى أن يصلى النساء صفاً وراء الرجال ، أما مسجد (ووكنج) فترتيبهم فى الصلاة أن يصلى الرجل بين المرأتين ، والمرأة بين الرجلين ، لان أعداء الاسلام يضعون فى أذن المرأة أن الاسلام يريد إهانتها بجعلها تتخلف فى الصلاة وراء الرجل . والحقيقة التى لا يمكن إنكارها هى أن السنة الاسلامية فى الترتيب هى التى تضمن خلو بال للمصلين ، وأنا لاريب عندى قط فى هذه الحقيقة ، الاسلام يحترم المرأة ويكرمها ويحفظ لها الحقوق المعقولة ، وفيما عدا ذلك فكل ما جاء فيه خاصا بها فمعقوله

وطبيعى ، لانه من مقتضيات الفروق الطبيعية بين الجنسين . اه

هـذا ماقاله أعلام الغرب من ملوك ، ووزراء ، وأمراء ، وقواد ، وفلاسفة ، ورؤساء مجامع علمية ، وأساتذة فى أعاظم الـكليات ، ومن أعاظم المؤرخين ، وأرباب الصحف الـكبار السيارة ، وكبار المستشرقين من أوربيين ، وأمريكان . وكل هؤلاء الاعلام على مذاهبهم المسيحية أو المادية ، أو الطبيعية ، ولم يكن من بينهم من اعتنق الدين الاسلامى غير الشيخ عبد الله كوليام الانكليزى فقط ، مع أن هناك غير من نقلت آراءهم من أعلام الغربيين المنصفين فى هذه العجالة مايربو على الآلاف ، وقد اقتصرت على آراء من تقدم ذكرهم خشية الاطالة . ولم آت هنا بما أتيت به لأجل أن أثبت لاخوانى المسلمين محاسن دينهم الحنيف ، بما ذكره أعلام الغرب ! كلا ، ثم ألف كلا ، لأن المسلم صحيح الايمان على اقتناع تام من كون دين الاسلام هو الدين الحقيقى الوحيد الصالح لـكل زمان ومكان وعصر ومصر ، لانه هو دين التوحيد ، والتشريع العادل ودين الحضارة والمدنية الراقية ، والعمران البديع ، ودين الفطرة والفضيلة ومكارم الاخلاق . وانما ذكرت ما تقـدم عن أعلام الغرب لأظهر للملأ أجمع أن حشرات الالحاد ، وأذناب التبشير والتشكيك ، أولئك الذين تسموا بأسماء المسلمين ، والذين قد نبذتهم الفضيلة والانسانيه ، والمتبجحين بقولهم : ماذا عمل محمد ؟ ولو وجد محمد فى هذا العصر ماذا

كان يعمل ؟ أنهم ليسوا فى العير ولا فى النفير ؛ ولم يكونوا من ذوى الرأى والعقل والتفكير ، ولا يملكون من الادراك ما تملكه (النملة) ، ولم يفهموا أنهم لا قيمة لهم عند المسلمين ، وأنهم أحط قدراً من القردة والخنازير ، كما أنهم لم يفهموا لماذا ألحد ملاحدة الغرب الذين لم يلحدوا فى مذهب المسيح عليه السلام وإنما كان إلحادهم منحصراً فيما جاءتهم به القساوسة من الغطرسة والسفسطة والسيطرة على حرية الانسان باسم الدين ، وجعلوا أنفسهم وسطاء بين الخلق والخالق جل وعلا ، وأن بيدهم غفران الذنوب ، والمغفرة والرحمة ، وغير ذلك من المختلقات والمفتريات على الرب سبحانه وتعالى وعلى عيسى المسيح عليه السلام ، تلك المختلقات التى لا تنطبق على العقل الصحيح والفكر الثاقب . فربما يكون إلحاد الغربيين فى ذلك له وجه معقول ، وأما هؤلاء الأغبياء الجهلاء بجهلهم المركب فقد قصرت مداركهم عن فهم ما جاء به الاسلام من الهدى ودين الحق والاصلاح العميم لكافة البشر . فاذا كان قد قصر بهؤلاء الفهم عن إدراك ما كتبه علماء الاسلام عن نبى الاسلام ﷺ ، ألم يطلعوا على ما كتبه فلاسفة الغرب المنصفون أولئك الذين قد نقلت عنهم بعض ماتقدم فى نبى الاسلام ومدنية الاسلام ؛ وأن العرب هم أساتذة الغرب فى المدنية والحضارة والعمران ، حتى فى الميكانيك وعلم الفلك والطب وغير ذلك ؟ إن هؤلاء لم يستطيعوا ولن يستطيعوا أن يقفوا على

ما يكتبه أمثال من تقدم ذكرهم ، لانهم أجراء للمبشرين الغربيين ؛ ولم يخجلوا بعد أن رشقتهم أقلام الكتاب بالنقد الشديد الذى هو كرجم الشياطين . وكشفوا للملأ أجمع عن حقائقهم وما هم منطوون عليه من الخبث والفساد حتى مزقوا أبدانهم وشوهوا وجوههم ، وقد ظهر للناس أنهم أمثال الشياطين لكونهم يتلذذون باللعن والخزى ، ويعدون ذلك رفعة لهم ؛ فتراهم يعدون الحطة مكرمة ، والذل عزاً ، والرذيلة فضيلة . لأنهم ألفوا ذلك ﴿ فمن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا ﴾ ، ﴿ وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون ﴾ ، ﴿ أولئك الذين أصمهم الله وأعمى أبصارهم ﴾

✡

✡ ✡

تم بحمد الله تعالى تأليف هذه العجالة فى يوم الأحد الموافق ٢٨ من شهر شوال سنة ١٣٥٣ بقلم مؤلفها حسين بن عبد الله بن محمد بن سالم بن عمر بن عوض باسلامه آل باداس الكندي الحضرمى المكى . وأسأله تعالى أن يمدنى بعنايته ، ويجعل هذا الكتاب مفيداً لابناء ملتى وينفع كافة الخلق به ، إنه بالاجابة جدير وعلى ما يشاء قدير

حسين عبد الله باسلامة

فهرس

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة